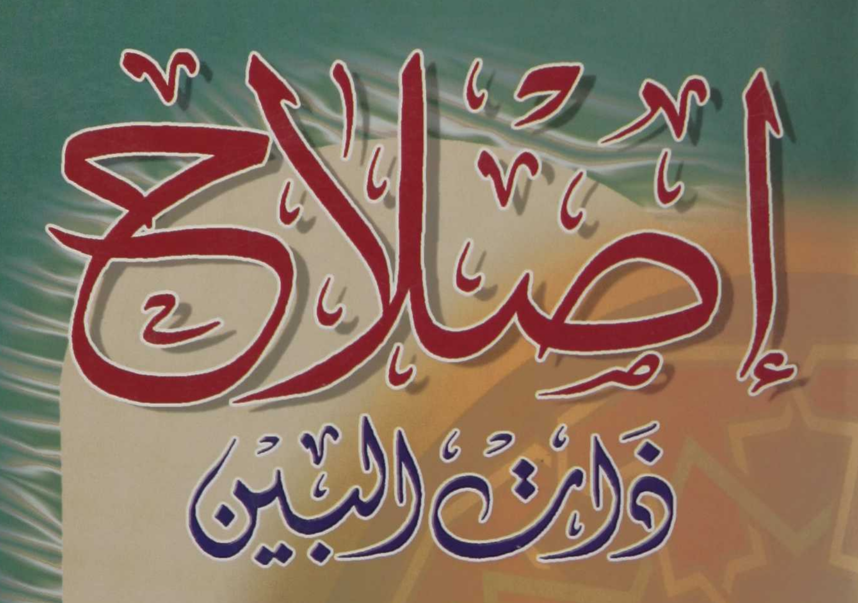


تأليف

د. علي الجاموس

نشر وتوزيع

مكتبة الصحوة - الكويت

هاتف : ٢٦١١٠٠٦

إصلاح ذات البين

تأليف

د.علي الجاموس

مكتبة الصحوة
تلفون: ٢٦١١٠٠٦



مكتبة الصحوة

حولي - شارع بيروت - بعد المطافي - بجانب مجمع منيرة

تلفون : ٢٦١١٠٠٦ - تلفاكس : ٢٦١٧٠٨٤

ص. ب : ٣١٢٢ حولي - الرمز البريدي 32032 الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

قال الله تعالى ((إنا لا نضيع أجر المصلحين)) (الأعراف: ١٧٠)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ليس أضر على الإنسان نفسيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا من وجود النزاع والشقاق والخصام بين الأفراد، قال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (الأنفال:٤٦).

وقد كثرت المشكلات بين الأزواج فكثر من ورائها الطلاق، وكثرت المشكلات بين الأقارب فكثر الهجر والتباغض.

ما الذي يحصل فلأجله يتباعد الإخوة ويتباغض الأحبة؟ لماذا كثر في المجتمعات السلبيةُ فلم يعد يقوم بالإصلاح إلا من ندر؟

لأجل هذا كله كان هذا المؤلف الذي يهدف إلى بيان فضيلة الإصلاح، والترغيب فيه، وذكر أهم الأسباب المفسدة للعلاقات بين الناس، وذكر الإرشادات التي تقلل أو تقي من وقوع الخلاف، وبيان طرق علاج المشاكل بين الناس من منظور الشرع وخبرات الناس، هادفا من وراء ذلك كله إلى نشر الحس الإصلاحي في المجتمع وتشجيع الناس على القيام به حتى تسود المحبة والوئام.

فإلى من يسعون للإصلاح بين الناس وهم جادون للتوفيق بين المتخاصمين:

لإصلاح شقيقين اختلفا، أو شريكين تنازعا، أو جارين تخاصمك أو زوجين تباعدا، وحتى يرجع الصفاء والمحبة، والسعادة والرضا على يد رجال عشقوا الخير وأفنوا أوقاهم فيه، كان هذا المؤلف.

فأسأل الله أن ينفع به وأن يجعله خالصا لوجهه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

د.علي الجاموس

تمهيد:

لقد أمر الإسلام المسلمين بالاجتماع و نهاهم عن التفرق.

فقد أمرهم بالاجتماع للصلاة و هي أهم شعائر الدين فقال تعالى (واركعوا مع الراكعين) ليس وحدكم بل مع الراكعين، و بين فضل الصلاة مع الجماعة فقال رسول الله (صلاة الجماعة تعدل صلاة الفذ أي المنفرد بسبع وعشرين درجة) رواه البخاري (٢٣١/١)ح٦١٩.

وحثهم على الاجتماع على قراءة القرآن و تدارسه فقال رسول الله (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة و غشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة و ذكرهم الله فيمن عنده) رواه أحمد (٩٨٢/٢) ـــ وأبوداود (١٧/٢).

وأمرهم بالاجتماع في السفر حيث نهى أن يسافر الرجل لوحده، ونهى عن التفرق عند النزول و الراحة فعن أبي ثعلبة الخشني قال: كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا في الشعاب والأودية ـــ والشعب الطريق بين جبلين ـــ فلم يعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان) فلم ينزلوا بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى لو بسط عليهم ثوب لعمهم) رواه أبوداود (٤١/٣) وابن حبان في صحيحه (٤٠٨/٦).

وقد ضمن الله لهذه الأمة العصمة عن الخطأ عند اجتماعهم فقال صلى الله عليه وسلم (لاتجتمع أمتي على ضلالة) رواه ابن ماجه

(١٣٠٣/٢) وعبد الرزاق في مصنفه (٢٦٧/٧) والحاكم في المستدرك (٢٠٠/١).

وعموما فقد نهى الإسلام عن التفرق في أي صورة فقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (آل عمران:١٠٣) وقال صلى الله عليه وسلم (عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) رواه الحاكم في المستدرك (٣٣٠/١) وانظر الترغيب والترهيب (١٦٦/١) والذئب هو الشيطان والقاصية تعبير عن المنفرد عن الجماعة.

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا (عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان، مع الواحد وهو من الاثنين أبعد) رواه أحمد (٣٧٠/٥) والترمذي (٤٦٥/٤).

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد فرأى الصحابة حلقا متفرقين فقال: (مالي أراكم عزين) رواه مسلم (٣٢٢/١).

ونهى عن التشبه بالمتفرقين فقال تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم).

(آل عمران: ١٠٥).

الخلاصة أن الفرقة هلكة والجماعة نجاة.

فياليت نكون دائما مجتمعين متحابين متصافين ننسى مشكلاتنا وأحقادنا ويسامح بعضنا بعض ونكون يدا واحدة فيد الله على الجماعة كما قال صلى الله عليه وسلم ومن شذ شذ في النار، أعاذنا الله من النار.

معنى إصلاح ذات البين:

الإصلاح نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه.

وذات البين معناها الحال أو الأحوال التي تكون بين الناس.

وسميت هذه الأحوال بذات البين لأنها لما كانت ظاهرة والبيان الظهور وصفت به فقيل لها ذات البين كما قيل للأسرار ذات الصدور لعدم ظهورها.

وهذه الأحوال بين الناس إما أن تكون موصولة وإما أن تكون مقطوعة، ولذلك فإن لفظ البين كما جاء في كتب اللغة من الأضداد أي يطلق على معنيين متضادين فيطلق على الوصل وعلى الفرقة.

(انظر المصباح المنير (١/٧٠) مادة بان).

فيكون إصلاح ذات البين على الوجه الأول برأب ما تصدع من حال الوصل والتحابب والتآلف، وإزالة الفساد الذي دب اليها بسبب الخصام والتنازع على أمر من أمور الدنيا.

ويكون إصلاح ذات البين على الوجه الثاني بإزالة أسباب الخصام، أو بالتسامح والعفو، أو بالتراضي على وجه من الوجوه، وبهذا تنحل عقدة الفرقة ويحل الوصل بدل القطيعة.

قال تعالى (وأصلحوا ذات بينكم) (الأنفال:١) أي أصلحوا الأحوال التي فسدت بينكم.

إذن (إصلاح ذات البين) معناه إصلاح العلاقات والأحوال التي بين الناس:

من فرقة إلى وصل، ومن تباغض إلى تحابب، ومن عداوة إلى تآلف، وإزالة ما بينهم من النفرة والخصومة.

إصلاح العلاقات سواء كانت بين الأخ وأخيه، والوالـــد وأولاده، والإنسان وأقاربه، والزوج وزوجته، والأفراد والشركات والقبائل بعضها بين بعض وغير ذلك.

حكم الإصلاح:

الإصلاح واجب كفائي على أهل كل بلد، إن قام به البعض سقط عن الآخرين، وقد ورد الأمر به في القرآن والسنة.

أما القرآن فقد قال تعالى (فاتقوا الله و أصلحوا ذات بينكم)

(الأنفال: ١)

وقال تعالى (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) (الحجرات: ١٠).

فالإصلاح قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المسلم من الخصام والتفكك تحت وطأة حالات الغضب والنزوات العارضة والانفعالات السريعة، يتم ذلك لإقرار الحق والعدل والصلاح، والرجوع في هذا كله إلى تقوى الله سبحانه، ورجاء رحمته بإقرار العدل.

وأما السنة فقد جاء في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى يا رسول الله قال:صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) رواه أبو داود (٤٩١٩) والترمذي (٢٥٠٩) وقال هذا حديث صحيح.

ومن هذا الحديث وغيره يتضح فضل الإصلاح ومكانته في الإسلام.

فضل إصلاح ذات البين:

الحديث السابق يبين فضل إصلاح ذات البين، وأن درجته أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة.

وفي رواية لابن حبان في صحيحه (٤٨٩/١١) (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والقيام؟ قالوا بلى يا رسول الله قال إصلاح ذات البين) وعند الترمذي (٦٦٣/٤) من حديث أبي هريرة (إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة) (انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٣٢٠/٣).

فهذا الحديث يبين فضل إصلاح ذات البين ويرغب فيه.

ويمكن توضيح فضل إصلاح ذات البين من خلال النقاط التالية:

إصلاح ذات البين أفضل من أداء الفرائض عند التعارض

وجمهور العلماء على أن المراد بالصلاة والصيام والصدقة المذكورة في الحديث (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ... إصلاح ذات البين) هي النوافل لا الفرائض.

لكن بعض العلماء كالقاري ذهب إلى أنه قد يكون إصلاح ذات البين أفضل حتى من الفرائض فقال رحمه الله:

والله أعلم بالمراد إذ قد يكون الإصلاح في فساد يتفرع عليه سفك الدماء ونهب الأموال وهتك الحرم أفضل من فرائض هذه العبادات القاصرة مع إمكان قضائها على فرض تركها، فهي من حقوق الله التي هي أهون عنده سبحانه من حقوق العباد.

ويؤكد الطيبي هذا المعنى الذي ذكره القاري فيقول رحمه الله:

في الحديث حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب الفساد فيها لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن أصلح بين الناس ورفع فساد ذات البين نال درجةً فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه.

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث (إن فساد ذات البين هي الحالقة) أي الخصلة التي من شأنها أن تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر.

الله أكبر أيها الأخوة، فساد ذات البين تهلك الإنسان وتدمر عليه دينه، أبعد هذا كله نتوانى عن الإصلاح ونتردد فيه!

أمن أجل أسباب تافهة وبسيطة يخرب الإنسان علاقاته مع إخوانه وأقاربه وأصدقائه فيحلق دينه وهو لا يدري!

الإصلاح من أفضل الصدقات:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفضل الصدقة إصلاح ذات البين) (قال في مجمع الزوائد (٨/٨٠) رواه الطبراني والبزار وعبد بن حميد (١/١٣٥) والحديث حسن، انظر الترغيب والترهيب ٣/٣٢١).

الصدقة بابها واسع ولا تقتصر على الصدقة بالمال بل تشمل أعمالا كثيرة ليس منها إنفاق المال، أفضل هذه الصدقات وأول هذه الأعمال

إصلاح ذات البين،ويشهد لذلك الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس) يعني كل عضو ومفصل من الإنسان عليه صدقة كل يوم، قال العلماء: إن في الإنسان ٣٦٠ مفصلا فعليه أن يتصدق كل يوم ٣٦٠ صدقة.

لكن ربما ظن ظان أن الصدقة لا تكون إلا بالمال وهذا خطأ ولذلك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أوجه الصدقة بعد ذلك و لم يذكر منها التصدق بالمال لأنه معروف فقال:

(تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة) (البخاري ـ الفتح (٦ح٧٢٠٧) ومسلم ح ١٠٠٩).

وأول هذه الأنواع التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم الإصلاح بين الناس بقوله (تعدل بين الاثنين صدقة) قال النووي رحمه الله في رياض الصالحين:

معنى تعدل بين الاثنين أي تصلح بينهما بالعدل، لا تميل إلى جانب وأنت تصلح إلى جانب دون الآخر فتظلم أحدهما، تحر العدل.

الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة:

ورد في سبب نزول قوله تعالى: (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) (الأنفال:١) والأنفال هي الغنائم، أن الله لما نصر المسلمين في بدر وانهزم المشركون وانطلقت طائفة من المسلمين في آثار المنهزمين يقتلون ويأسرون، وطائفة أخذت تجمع الغنائم، وطائفة التفت حول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحمونه حتى لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل ورجع الناس وتجمعوا قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق به منا نحن منعنا عنه العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم: خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به، فاختلفوا وتجادلوا وتشاجروا، فأنزل الله هذه الآية يبين أن أمر الغنائم موكول إلى الله ورسوله يوزعها كيف يشاء، وأن على المؤمنين أن يتقوا الله ويصلحوا العلاقة التي ساءت بينهم بسبب الغنائم ويصفوا القلوب، وأن عليهم أن يطيعوا الله ورسوله في قسمة الغنائم، فهم إن كانوا مؤمنين حقا فلا بد وأن يتقوا الله، ولابد وأن يصلحوا ذات بينهم، ولا بد وأن يطيعوا الله ورسوله.

ثم ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره حديثا بعد هـــذه الآيـــة رواه الحاكم في مستدركه (٥٧٦/٤) وانظر الترغيب والـــترهيب (٣ /٣٠٩) عن أنس ـــ رضي الله عنه ـــ قال:

بينما رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر:ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمـــي؟ فقال:

(رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة تبارك وتعـــالى فقـــال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، قال الله تعالى: أعـــط أخـــاك مظلمته، قال: يا رب لم يبق لي من حسناتي شيء، قـــال المظلـــوم: ربي فليحمل عني أوزاري، قال أنس: ففاضت عينا رسول الله ـــ صلـــى الله عليه وسلم ـــ بالبكاء ثم قال (إن ذلك اليوم عظيم يحتاج الناس إلى مـــن يتحمل عنهم أوزارهم) فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك وانظـــر في الجنان، فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا؟ لأي صديق هذا؟ لأي شهيد هذا؟ قـــال الله:هذا لمن أعطى ثمنه، قال: يا رب ومن يملك ثمنه؟ قال: أنت تملكـــه، قال: ماذا يا رب؟ قال: تعفو عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفـــوت عنه، قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فادخلا الجنة، ثم قال رســـول الله ـــ صلى الله عليه وسلم (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعـــالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة).

الإصلاح عمل يرضاه الله ورسوله:

عن أبي أمامة ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قال رسول الله ـــ صلى الله عيه وسلم ـــ لأبي أيوب:يا أبا أيوب ألا أدلك على عمـــل يرضـــاه الله ورسوله؟ قال بلى، قال: تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينـــهم إذا تباعدوا. (رواه الطبراني المعجم الكبير (٢٥٧/٨) وانظرمعجم الزوائـــــد (١٨٠/٨) وانظر الترغيب والترهيب (٤٨٩/٣).

وقال تعالى (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمـــــر بصدقـــة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فســـوف نؤتيه أجرا عظيما) (النساء:١١٤).

ولنا وقفة مع هذه الآية:

لقد تكرر في القران النهي عن النجوى، وهي أن تجتمع طائفة بعيـــدا عن الجماعة المسلمة وعن القيادة المسلمة لتبيت أمرا، وكان اتجاه التربيـــة الإسلامية أن يأتي كل إنسان بمشكلته أو بموضوعه فيعرضه على النـــبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مسارة إن كان أمرا شخصيا لا يريد أن يشـــيع بين الناس أو مساءلة علنية إن كان لا حرج عليه في معرفة الناس لها.

والحكمة في هذا هو ألا تتكون جيوب في الجماعـــة المســـلمة وألا تنعزل مجموعات منها بتصوراتها ومشكلاتها أو بأفكارها واتجاهاتهـــا وألا تبيت مجموعة من الجماعات المسلمة أمرا بليل، أو تخفيه عن الجماعـــة أو

تستخفي به عن أعينها ــ وإن كانت لا تختفي عن الله لأنـــه معـــهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول.

والنص القرآني يستثني نوعا من النجوى (إلا من أمــــر بصدقـــة أو معروف أو إصلاح بين الناس) وذلك أن يجتمع الرجل الخير بالرجل الخير فيقول له هلم نتصدق على فلان فقد علمت حاجته، في خفيـــــة عـــن الأعين، أو هلم إلى معروف معين نفعله أو نحض عليه، أو هلم نصلح بين فلان وفلان فقد علمت أن بينهم نزاعا.

ولكن على شرط أن يكون الباعث هو ابتغاء مرضاة الله (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) فلا يكون لهـــــوى في الصدقة على فلان، أو الإصلاح بين فلان وعلان، ولا يكون ليشـــــتهر الرجل بأنه والله طيب يحض على الصدقة والمعــــروف ويســـعى علـــى الإصلاح بين الناس، فهذا هو مفرق الطريق بين العمل يرضى عنـــــه الله ويثيبه عليه، والعمل نفسه يغضب الله على صاحبه، ويكتبه له في ســـجل السيئات.

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ــ رضي الله عنـه ــ عن النبي صلى الله عليه وسلم ــ قال (ما عمل ابن آدم شيئا أفضل مـــن الصلاة وصلاح ذات البين وخلق حسن). السلسلة الصحيحة (١٤٤٨).

ثم قال البيهقي: وإذا كان إصلاح ذات البين مهما فسدوا واجبا فمن البين أن ترك الإفساد بين الناس باجتناب النميمة واتقاء التحريش بينهم أوجب وألزم.

لذلك روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من خبب خادما على أهله فليس منا ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا) رواه البيهقي (١٣/٨) وأبو داود ح(٤٨٨٣) وأحمد (٣٩٧/٢) وانظر الصحيحة (٣٢٤).

ومعنى خبب أي أفسده وخدعه.

فشأن المؤمن دائما أن يقوم على الإصلاح لا على إيقاع الشقاق بين النساء وأزواجهن أو بين الخدم وأسيادهم أو بين العمال ورؤسائهم في العمل.

حرص الشيطان على إفساد العلاقات بين المسلمين:

كثيرا ما يتخاصم ويتنازع اثنان ويحتاجون فعلا إلى من يصلح بينهما لأن كل واحد نفسه عزيزة عليه لا يرضى أن يذهب إلى أخيه فيحاوره ويصطلحا، فهما بحاجة إلى من يأخذ بيد هذا ويد هذا ويحاول الإصلاح بينهما.

وأعرف قصة حصل فيها نزاع وخصام بسيط بين أخوين ولهما أولاد فهجر كل منهما الآخر وطال الهجر والقطيعة، وكان الأبناء يحاولون الإصلاح فيمنعهم الأبوان.

فإن لم يتقدم للإصلاح رجل عاقل حكيم فينهي القطيعة والعداوة وإلا استمر الخلاف حتى بين الأولاد وتفككت الأسرة الواحدة، وهذا ما يريده الشيطان حيث أخبر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن ذلك بقوله (إن الشيطان قد يأس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن رضي بالتحريش بينهم) رواه مسلم في صفات المنافقين.

ومعنى التحريش: الإفساد وتغيير قلوبهم وتقاطعهم، فالشيطان حريص كل الحرص على إيقاع الخصوم والشحناء والحروب والفتن ونحوها بين المسلمين.

ولذلك يجب على المسلمين أن يجاهوا كيده ويردوه بالعفو والإصلاح بين الناس.

وفي هذا الصدد يقول الله تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) (هود:١١٧).

والإصلاح في هذه الآية يشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشمل إصلاح ذات البين، لأنه إذا لم يكن هناك من يسعى في إصلاح ذات البين كان فساد ذات البين الذي يحلق الدين ويذهبه، وإذا ذهب الدين حل الهلاك.

النميمة من أخطر ما يفسد العلاقات بين الناس:

من سعى في فساد ذات البين والقطيعة وبث البغضاء بين اثنين فقد شابه الشيطان.

ولذلك روى الإمام أحمد (٤/٢٢٧) والطبراني (١٠/٣٨٧) وانظر الترغيب والترهيب (٣/٤٨٤) وغيرهما عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت).

فقوله صلى الله عليه وسلم: المشاؤن بالنميمة أي الذين يمشون بالنميمة وينقلون كلام الناس بعضهم في بعض فيفسدون ولا يصلحون.

والنميمة من أخطر ما يفسد العلاقة بين الناس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة نمام)متفق عليه.رواه البخاري (٦٠٥٦) ومسلم (١٠٥) وأبوداود (٤٨٧١).

ومر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم بقبر فأوحى الله إليه أن صاحبي القبرين يعذبان فقال: (إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير بلى إنه كبير) يعني إن سبب عذابهما أمر يسهل اجتنابه لكنه مع ذلك أمر كبير عند الله، ثم بين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبب عذابهما فقال: (أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله) وفي رواية (لا يستنزه من بوله) والحديث متفق عليه.رواه البخاري (١٣٧٨) ومسلم (٢٩٢) وأبوداود (٢٠).

ومعنى لا يستتر من بوله أي لا يستتر عن أعين الناس إذا بال، وعلى رواية (لا يستنزه من بوله) يكون المعنى لا يتوقى عن بوله أن يصيبه.

ولذلك قال العلماء: إن النميمة من أسباب عذاب القبر.

ومن مشى بالنميمة فرق بين الأحبة ولذلك قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ (المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العنت)، أي الذين يطلبون للبريئين العنت أي الضيق والشدة والتعب.

ملاحظة: لو جاءك أخي المسلم وأختي المسلمة من يقول: لك ألا تدري ماذا قال فلان فيك؟ فماذا تصنع؟

قد يقول إنسان: أستمع له لأعرف عدوي من صديقي. لكن هل سينتهي الأمر عند هذا الحد؟

غالبا لا ينتهي ويتطور الأمر إلى خصومة وقطيعة إن لم يكن أكثر من ذلك، لكنك لو قلت له: لا تقل لي، واحذر أن تمشي بالنميمة مرة ثانية، اتق الله، لردعت هذا النمام وحفظت مودة أخيك، وكنت بذلك اقتديت بالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما كان يقول (لا تبلغوني عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج عليكم وأنا سليم الصدر) رواه أحمد والترمذي وأبو داود.

وجاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية (إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا) (الحجرات:٦) وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية (هماز مشاء بنميم) (القلم:١١) وإن شئت عفونا عنك فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا.

الواجب على من سمع نميمة ستة أشياء:

فالنميمة إذاً من أخطر الأمور المفسدة للعلاقات بين الناس وينبغي أن لا تستمع لأحد ينقل لك قول آخر فيك، بل فوق هذا يقـــول الغـــزالي رحمه الله إن الواجب عليك ستة أشياء:

أن لا تصدق الناقل، لأن النمام فاسق مردود الشهادة.

أن تنهاه عن ذلك وتنصحه.

أن تبغضه في الله فإنه بغيض عند الله.

أن لا تظن بأخيك الغائب السوء.

أن لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لقوله تعالى (ولا تجسسوا) (الحجرات:١٢).

أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه، فلا تحكـــي نميمتـــه ولا تنقلها.

ويروى أن سليمان بن عبد الملك قال لرجل: بلغني أنك وقعـــت في وقلت كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت، فقال ســـليمان: إن الـــذي أخبرني صادق، فقال الرجل: لا يكون النمام صادقا، فقـــال ســـليمان: صدقت اذهب بسلام.

وقال يحيى بن أبي كثير: يفسد النمام في ساعة ما لا يفسده الساحر في شهر.

ولخطر النمام الشديد على علاقات المسلمين كان من شرار الخلق عند الله كما جاء في الحديث الذي مر معنا (ألا أنبئكم بشراركم: المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت).

حق المسلم الذب عنه عندما يغتاب:

قد يقول بعض الناس: إن من حق فلان علي أن أنقل له ما يقال عنه، وهذا واجبي ولا يجوز لي أن أكتم ذلك عنه.

فنقول إن هذا من تلبيس إبليس ولا يكون هكذا حفظ حق أخيك، بل الواجب أن تذب عن أخيك في المجلس الذي يغتاب فيه وترد عنه وتنكر بلسانك وقلبك، وقد روى الترمذي (١٩٣١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة).

قصة كعب بن مالك:

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيت عتبان بن مالك رضى الله عنه مع مجموعة من أهل دار عتبان فقال رجل: ما فعل مالك بن الدخشم لا أراه، فقال رجل: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) متفق عليه.

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم بتبوك قال: (ما فعل كعب بن مالك ــ وكان قد تخلف عن غزوة تبوك، فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم) متفق عليه رواه البخاري (٤٤١٨) و مسلم (٢٧٦٩).

وحسنا فعل معاذ بن جبل فإن الوقت وقت حرب والموقف يتطلب تآلفا واجتماعا للكلمة وتركا للتنافر وإلا حصل التنازع والفشل، قال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا) (الأنفال: ٤٦).

وفي هذا الحديث إقرار من النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل في الدفاع عن أخيه كعب بن مالك رضي الله عنه، لذلك قال النووي رحمه الله: الواجب على من سمع غيبة محرمة ردها و الإنكار على قائلها، فإن عجز أو لم يقبل منه فارق ذلك المجلس إن أمكنه. وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم.(٢٥٦٤)

ومتى أهمل الذب عنه في غيبته يكون قد أسلمه.

يقول الغزالي رحمه الله:

ولك في ذلك معياران:

أحدهما: أن تقدر أن الذي قيل فيه قد قيل فيك وهو حاضر، فتقول ما تحب أن يقوله.

والثاني: أن تقدر أنه حاضر وراء جدار يتسمع عليك، فما تحرك في قلبك من نصرته في حضوره ينبغي أن يتحرك في غيبته، ومن لم يكن مخلصا في إخائه فهو منافق.

من الأقوال الحكيمة في الإصلاح:

قال أنس بن مالك رضي الله عنه:

من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة.

وقال الأوزاعي رحمه الله: ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار.

وقال محمد بن المنكدر: تنازع رجلان في ناحية المسجد فملت إليهما فلم أزل بهما حتى اصطلحا، فقال أبو هريرة وهو يراني: من أصلح بين اثنين فقد استوجب أجر شهيد.

(قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: ذكر هذه الأخبار أبو مطيع مكحول بن المفضل النسفي في كتاب اللؤلئيات له).

وقال عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت: كنت جالسا مع محمد بن كعب القرظي فأتاه رجل فقال له القوم: أين كنت؟ فقال: أصلحت بين قوم، فقال محمد بن كعب أصبحت لك مثل أجر المجاهد، ثم قرأ (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ...) (النساء الآية: ١١٤) (انظر أعلام الموقعين ٢/٦٨٥).

عناية الإسلام بموضوع الإصلاح:

لقد اعتنى الإسلام في تشريعاته بالإصلاح بين الناس سواء من حيث الترغيب فيه كما مر معنا ببيان فضل الإصلاح والحث عليه وما وعد الله عليه من الأجر، أو من حيث ما يمنع أو يقلل الفساد الذي يكون بين الناس، أو من حيث ما يعين المصلح على الإصلاح.

ولأهمية الموضوع عقد الفقهاء في كتب الفقه بابا خاصا بموضوع الإصلاح وسموه باب الصلح ولنستعرض أهم ما يبين عناية الإسلام بموضوع الإصلاح.

الترغيب في الصلح:

وصف الله الصلح بأنه خير فقال تعالى: (والصلح خير) (النساء: ١٢٨).

وقال تعالى (لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) (النساء: ١١٤).

وروى الترمذي وأبو داود وغيرهما عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا).

وأجمع المسلمون في كل العصور على أن الصلح مطلوب.

وقد ورد عن عمر رضي الله عنه أنه قال (ردو الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث الضغائن).

وقد قال ذلك في حضور الصحابة رضي الله عنهم، و لم ينكر عليه أحد منهم فكان ذلك بمثابة الإجماع منهم على استحباب البدء بالصلح قبل القضاء.

والإسلام دين الوحدة والأخوة يدعو إلى التعاون والتضامن ونبذ الفرقة وأسباها، قال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (آل عمران: ١٠٣).

ولذا نجد الإسلام يحث على أداء الحقوق لأصحاها لأن الإخلال بذلك هو السبب الغالب في إثارة الخصومة ووقوع التراع فقال تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) (البقرة:١٨٨).

وقد قرن الله بين أكل أموال الناس بالباطل وقتل النفس بغير حق لأنه غالبا ما يؤدي إلى القتل فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) (النساء: ٢٩)

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من التباغض والتحاسد لأن نتيجة ذلك أن يتقاتل الناس فيفعلوا فعل الكفار الذين يتقاتلون على الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم (لا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد

الله إخوانا) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٣) رقم (٢٥٥٩)، ويقول صلى الله عليه وسلم (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض).

الحث على المسامحة:

ويحث الإسلام الناس على ما يقوي عرا المحبة بينهم ويزيل بواعث الشقاق، فيحثهم على التسامح بدل التشاح، وعلى التواصل بدل التقاطع، فيقول عليه الصلاة والسلام (رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى، وإذا قضى وإذا اقتضى) رواه البخاري ح (٢٠٧٦) و الترمذي (١٣٢٠) اقتضى أي طلب حقه.

ولما كان الصلح بين الناس والسعي في رفع الخصومات من بينهم في طليعة ما يحقق الأخوة والتضامن والتواصل شرعه الإسلام وحث عليه وجعله من الخير ـ بل هو الخير الذي تتطلع إليه القلوب وتهواه النفوس السامية فكان في ذلك خير للأمة في كل زمان ومكان، وكل حادثة وحال.

أوجب بذل المال للمصلح عند التزامه شيئا:

إذا تحمل المصلح في سبيل الإصلاح دفع دية أو أموال لتسكين فتنة أو دفعها فاستدان لأجل ذلك فإن له أن يأخذ من الصدقات ما يستعين به على قضاء دينه وإن كان غنيا يملك ما يفي به ذلك الدين من ماله الخاص.

وهذه مكرمة ينبغي التشجيع عليها، وقد كانت معروفة عند العرب من زمن الجاهلية فقد تحمل هرم بن سنان ديونا بسبب حرب وقعت بين قبيلتي عبس وذبيان، وفيه وفي رفيقه قال زهير بن أبي سلمى:

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقد أقر الإسلام هذه المكرمة فقال ــ صلى الله عليه وسلم (لا تحل المسألة إلا لأحد ثلاث: رجل تحمل حمالة فتحل له المسالة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصاب فلانا فاقة، فحلت له المسالة حتى يصيب قواما من عيش ثم يمسك فما سواهن من المسألة فسحت يأكلها صاحبها سحتا) رواه مسلم عن قبيصة.

حرم الأسباب المؤدية للخصومة: و من ذلك أنه حرم:

١- النميمة، قال صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة نمام).

٢- الغيبة، قال تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) ((الحجرات: ١٢).

٣- السخرية بالناس، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) (الحجرات: ١١)، وقال صلى الله عليه وسلم (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم).

٤- مناداة المسلم بلقب يكرهه، قال تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب) (الحجرات: ١١).

٥- الحسد، قال صلى الله عليه وسلم (ولا تحاسدوا).

٦- السب واللعن، قال صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده). وقال (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) رواه البخاري (ح ٦٠٤٤) ومسلم (ح ٦٤).

حرم الهجر والأفضلية لمن يبدأ الصلح:

صحيح أن الحياة لا تخلو من المشكلات والإنسان بطبيعته ينفر ممن يسيء إليه، ولذلك أحل الإسلام للمسلم أن يهجر ويقاطع أخاه الذي أساء إليه بشرط أن لا يتجاوز ثلاثة أيام.

فعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم قال (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) متفق عليه. رواه البخاري (٦٢٣٧) ومسلم (٢٥٦٠)

فالأيام الثلاثة كافية للتفكير في الموضوع وتناسي الأخطاء ودفن الأحقاد.

وخير الاثنين هو الذي يبدأ أخاه بالسلام ويسرع إلى الصلح ليفوز بالفضل.

لقد سمعنا عن قرابات هجروا بعضا لمدة شهور وأحيانا سنة أو أكثر، وليعلم هؤلاء أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ اعتبر هذا في الإثم كالقتل فقال ــ صلى الله عليه وسلم (من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه) رواه أبو داود بإسناد صحيح. (٤٩١٥)

فالهجر والمقاطعة قتل معنوي لا يقل سوءا عن القتل المادي المحسوس.

أخي في الله: أيا كانت المشكلة بينك وبين أحد من أهلك أو مع جيرانك أو مع أحد من إخوانك في الله فلا تظن أنها لا تؤثر عليك عند الله، بل إن لها تأثيرا عظيما عند الله.

إنها تؤخر مغفرة الله لك، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس، فيغفر الله لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا، إلا امرءا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا) رواه مسلم ح(٢٥٦٥) وأبو داود (٤٩١٦).

فالمغفرة أخي في الله وأختي في الله ــ ومن منا لا يسعى ورائها ــ لا ينالها العبد المسلم إلا بشرطين، واحد يتعلق بعلاقته مع الله وهو أن لا يكون قد أشرك به شيئا، صغيرا أو كبيرا، قليلا أو كثيرا.

والشرط الثاني يتعلق بعلاقته مع إخوانه في الله وهو أن لا تكون هناك شحناء أو عداوة وبغضاء بينه وبين أخيه بسبب أمر دنيوي.

قصة عائشة مع عبد الله بن الزبير:

ومما يذكر في هذا المقام قصة حصلت لعائشة رضي الله عنها مع ابن أختها عبد الله بن الزبير، ذلك أن عائشة رضي الله عنها باعت مرة دارا لها وتصدقت بثمنها فقال عبد الله بن الزبير: لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها، فوصل الخبر لعائشة رضي الله عنها فقالت بعد أن تثبتت من أنه قد قال هذا: هو لله علي نذر أن لا أكلم بن الزبير أبدا حتى يفرق الموت بيني وبينه، فلما طال الهجر استشفع ابن الزبير إليها يسترضيها، فقالت: لا والله لا أشفع فيه أحدا ولا أحنث في نذري، فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وقال لهما: أنشدكما الله لما أدخلتماني على عائشة فإنه لا يحل لها أن تنذر قطيعتي، فاحتال المسور وعبد الرحمن على إدخاله على عائشة، فأقبلا به مشتملين عليه بأرديتهما ــ يعني خبآه بين أرديتهما، فقالا لعائشة عند الباب: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت: ادخلوا، قالوا: كلنا، قالت: نعم ادخلوا كلكم، وهي لا تعلم أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا دخل ابن الزبير على عائشة في حجابها فاعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكي ويقبلها، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها الله والرحم أن تكلمه وتقبل عذره ويقولان لها إن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ نهى عن الهجر وقال (إنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال) فلما أكثروا على عائشة التذكير والمناشدة وتخويفها أن تقع

في الإثم بسبب الهجر، طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إني نذرت والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وقبلت منـــه، وأعتقـــت في نذرها ذلك أربعين رقبة كفارة، وكانت عائشة رضي الله عنها تذكـــر نذرها فتبكي حتى تبل دموعها خمارها. رواه البخاري.

ويستفاد من هذه القصة جواز الاحتيال من أجل الصلح فإذا كـــان الكذب جائز فالاحتيال للجمع بين الخصمين جائز من باب أولى.

إباحة الكذب من أجل الإصلاح:

وإصلاح ذات البين مهمة شاقة، ولأهميتها في إصلاح المجتمع وبنائـه وثباته وإشاعة المحبة والود بين أفراده نجد الرسول صلى الله عليه وســلم يبيح للمسلم في سبيل الإصلاح أن يقول كلاما لم يقل طالما أنه من شأنه أن يزيل النزاع ويوفق ويصلح بين المتخاصمين فيقول صلـــى الله عليـه وسلم (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا) أي ينقل ويبلغ خيرا (ويقول خيرا) رواه البخاري ومســـلم (البخـــاري ـــ الفتـــح٥ (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).

الحث على المبادرة في الإصلاح:

روى البخاري،انظر فتح الباري (٥ح (٢٦٩٠) عن سهل بن سـعد رضى الله عنه أن أناسا من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء فبلـــغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم في أناس من أصحابه يصلـح بينهم وفي رواية أنه قال (اذهبوا بنا نصلح بينهم).

ويدل هذا الحديث على المبادرة في الإصلاح فإن النبي صلى الله عليه وسلم على ما كان يشغله من أعباء الدعوة وتكاليفها بمجرد ما علم بأن بين بني عمرو خصومة بادر بالسعي في الإصلاح قائلا (اذهبوا بنا نصلح بينهم)، مؤكدا للمسلمين بسعيه هذا ومبادرته وجوب الصلح بين المتخاصمين.

وفائدة المبادرة احتواء المشكلة قدر الإمكان قبل أن تستفحل وتكبر، إذ إن في التأخير مفسدة قد لا يستطيع معها المصلح أن يفعل شيئا، أو يمكن أن يفعل لكن بصعوبة بالغة.

كما يدل هذا الحديث على استحباب أن يسعى في الصلح جماعة لقوله (اذهبوا بنا) و لم يذهب بمفرده، وفائدة ذلك واضحة فإن للجماعة من التأثير ما ليس للفرد.

تقديم النبي صلى الله عليه وسلم الإصلاح على إمامة الناس:

يقول سهل بن سعد إكمالا للحديث السابق (فحضرت الصلاة و لم يأت النبي صلى الله عيه وسلم فجاء بلال إلى أبي بكر فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم حبس وقد حضرت الصلاة فهل لك أن تؤم الناس؟ فقال: نعم إن شئت فأقام الصلاة، فتقدم أبو بكر ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم يمشي في الصفوف حتى قام في الصف الأول فأخذ الناس بالتصفيح حتى أكثروا، وكان أبو بكر لا يكاد يلتفت في الصلاة فالتفت فإذا هو النبي صلى الله عليه وسلم وراءه فأشار إليه بيده فأمره أن يصلي

كما هو فرفع أبو بكر يده فحمد الله ثم رجع القهقرى وراءه حتى دخل في الصف وتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس فلما فرغ أقبل على الناس فقال: (يا أيها الناس مالكم إذا نابكم شيء في صلاتكم أخذتم بالتصفيح إنما التصفيح للنساء من نابه شيء في صلاته فليقل سبحان الله فإنه لا يسمعه أحد إلا التفت، ثم قال: يا أبا بكر ما منعك حين أشرت إليك لم تصل بالناس؟ فقال: ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم (البخاري ــ الفتح ٥(٢٦٩٠).

فانظروا كيف حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الإصلاح بين الناس، وقدمه على حرصه على إمامة الناس في الصلاة.

إرشادات تقي أو تقلل من وقوع الخلاف بين الناس:

لا تخلو الحياة سواء كانت الزوجية أو غيرها من مشكلات وخلافات، هذه طبيعة الحياة، لكن هناك سبل وإرشادات تساعد على تقليل المشكلات أو تقي منها، كما أن هناك طرقا للتعامل مع هذه المشكلات ومعالجتها.

ولنبدأ بالمرحلة الأولى:

١- أولى هذه الإرشادات الاتفاق والمصارحة:

- قبل الزواج فيما يريده الزوج وفيما تريده الزوجة.
- وفي العلاقات الأسرية عموما.

- وفي الصداقات.

فقد يكون للزوج بعض القناعات أو السلوكيات التي لا تخالف الشرع ويحب أن تستمر في حياته، كما وقد يكون للزوجة بعض الخصوصيات كذلك التي ترغب في المداومة عليها.

من أمثلة ذلك اعتياد الزوج الإفطار خلال شهر رمضان عند والديه، أو كأن يكون للزوجة تجمع عائلي أسبوعي، مثل هذا الاتفاق على هذه الأشياء يقلل الخلافات التي تنشأ بين الزوجين. وكما قال القاضي شريح لزوجته: بنو فلان قوم صالحون فزوريهم وبنو فلان قوم سوء فلا تزوريهم.

فالزوجان الواعيان ينشآن في بداية حياتهما نظاما يتفقان عليه، فيعرف كل منهما ما يحب الآخر فيبادر بالقيام به، وما يكره يحرص على تجنبه.

ولكن لا يدخل في هذه المصارحة ما يمكن أن نسميه بأسرار الماضي، فليحذر أن يعترف أحد الزوجين بماضيه للآخر فإن مثل هذا قد يولد الشك وهو مرض عضال لا يكاد يدخل بيتا مستقرا حتى يجعله حطاما.

وقد يكون للإنسان عادة لا تحب أن تتغير سواء مع قريبه أو صديقه فالمصارحة في هذا تقطع السبيل أمام مشاكل كثيرة.

٢- ثاني هذه الإرشادات: الحذر من الجدل.

احذر أخي المسلم من الجدل عند وقوع المشكلة وأجل الحديث لوقت آخر.

الجدل من المعوقات الرئيسية للعلاقات الاجتماعية، لماذا؟

لأنه السبب الرئيسي في ضياع الحب وحصول الانفصال، وكلما زاد الجدل زاد الخلاف، وكلما زاد الخلاف تباعد الحب، وكلما تباعد الحب تباعدت الأرواح، الخلاف يحتاج إلى شخصين، بينما إيقاف الخلاف يحتاج إلى شخص واحد فقط.

أفضل حل للخلاف هو تأجيل الحديث لوقت آخر تكون فيه النفوس غير مشدودة ولا قلقة، وفيها يمكن أن يبدأ حوار أو تفاوض.

وقد حث الإسلام على ترك الجدال فقال صلى الله عليه وسلم (أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) رواه البيهقي في الشعب (٨٠١٧) وأبو داود. (٤٨٠٠) والترمذي (١٩٩٣).

ومعنى زعيم أي كفيل وضامن، ومعنى ربض أي نواحيها وجوانبها وقيل أدناها.

والبيت هو القصر، والمراء هو الجدال.

وهذا البيت الموعود في الجنة وهذا الثواب سببه أنه لم يكسر قلب من يجادله و لم يترفع عليه ولا أراد إظهار فضله عليه.

ومن حسن الخلق ترك المراء والكذب لذلك كان ثوابه بيت في أعلى الجنة.

قال الغزالي: حد المراء الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه أو في قصد المتكلم.

لذلك نقول بأن من كان قصده من المناقشة والتحاور إظهار نفسه وتحقير الآخرين فهو المراء والجدال المذموم.

أما المناقشة للوصول إلى حل للمشكلة أو توضيح الأمور فهي مطلوبة، لكن لها ضوابط وقواعد ينبغي أن تراعى سنذكرها في حينه.

٣- ثالث هذه الإرشادات هي التغافل عن الأخطاء الصغيرة والتسامح.

- فبالنسبة للزوجين: الزوجة الحكيمة كما تحب من زوجها أن يغفر لها هفواتها فهي أيضا يجب أن تغفر له هفواته، لأن المرء لم يخلق معصوما والمعروف أن كثرة العتاب تولد الخلافات، كل من الزوجين له حسنات وله سلبيات ولو تعودنا تجاهل السلبيات بل نسيناها وعززنا الإيجابيات وأكدناها لكنا أكثر سعادة، كم هو جميل أن يكون في قلب الزوج متسعا لنسيان أخطاء زوجته، كم هو طيب أن يكون قلب الزوجة مرتعا خصبا لنسيان أخطاء الزوج.

ونقصد بالأخطاء تلك الهفوات اليومية المعتادة، كأن تتأخر الزوجة عن زوجها وهي تزور أهلها أو وهي في السوق أو تنسى إعداد حقيبة سفر زوجها، أو نسيان بعض احتياجاته، أو أن يتخلف الزوج عن إحضار ما أوصته به زوجته، أو أن يحدد لها موعدا ويتخلف عنه.

- وبالنسبة للصديقين وأي متحابين: إذا كانا يحبان بعضا حقيقة فينبغي غض الطرف عن الأخطاء البسيطة وإظهار المحاسن، وكما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   وعين السخط تبدي المساويا

٤- رابع هذه الإرشادات هي حصر الخلاف.

- في بيت الزوجية وعدم إفشائه، فينبغي على الزوجين ألا يجعلا حياتهما كتابا مفتوحا يقرأ، وعليهما إنهاء خلافاتهما دون تدخل أحد من الأهل أو الأصدقاء، فالزوج والزوجة لكل منهما كرامته وعزة نفسه فلا يرضى أن يطلع أحد الأصهار أو الأصدقاء على ما دار بينه وبين الطرف الآخر من خلاف، مما قد يزيد الأمر تعقيدا، ويجعل العلاقة متوترة بين أهل الزوج وأهل الزوجة، وقد يصطلح الزوجان ويظل الخلاف قائما بين الأصهار مما قد يعطي احتمال اشتعال نار الخلاف مرة أخرى بعد أن هدأت وتلاشت.

أما سمعتم ما قالته تلك الأم الحكيمة وهي توصي ابنتها فتقول:

لا تعصين له أمره، ولا تفشين له سرا، فـإنك إن خـالفت أمـره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره.

فمن الحكمة أن لا يتحدث الزوجان بخصوصياهما أمام الآخريـن سلبا أو إيجابا، فكم من بيوت هدمت وكم من أسر تمزقت وكم مـن عائلة تفرقت بسبب ذلك.

وحصر الخلاف كذلك في إطار ضيق بين القريبين أو الصديقـين، فينبغي عليهما أن يحصرا خلافهما بينهما فلا يتجادلا أمام أحد قـد لا يسعى بالصلح بينهما، وإذا أرادا تحكيم أحد فليكن شـخصا مـأمون النصيحة محبا للخير حريصا على علاقتهما.

ولذلك يعجبني من يصد أي شخص يريد نبش الأسرار أو جر أحد المتخاصمين للحديث عن الآخر قائلا له: من حسن إسلام المرء تركه مـا لا يعنيه.

٥- خامس هذه الإرشادات هي الكلمة الطيبة.

أو بعبارة أخرى: املأ قارورتك بما تحب أن تشرب.

الكلمة الطيبة صدقة، والابتسامة صدقة قال صلى الله عليه وسلم (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلـق) رواه مسـلم (٢٦٢٦).

معان كثيرة ننساها في غمرة انشغالنا بالدنيا ولهاثنا وراء مصالحنـــا، والتهائنا بأحزاننا وهمومنا،ننساها وننسى أن بابتسامة صادقة قد نســري عن إنسان حزين، أو نطفئ غضب ثائر، أو نكسب ود حاقد.

ننسى أن كلمة طيبة لا نلقي لها بالا قد تكون سببا في رفــع همــة عاجز أو إنشاط كسول، أو فعل خير يكون لنا أجره، ننسى أن البشاشة في وجوه الآخرين تكسبنا الأصدقاء، وتربطنا بالناس، ننسى هذا كلـــه متعللين أنه لا وقت للمشاعر، وأنه يكفينا ما لدينا من هموم (ومـــا لنـــا وللناس) وأنه (إن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب) وغيرها مـــن الأعـــذار والأقوال التي رسخت فينا حب النفس والأنانية، والبخـــل بالمشـــاعر، والتوجس من ردات فعل الغير، أو الخوف من سوء الفهم أو حتى التفكير بما سنجنيه من مصالح وراء هذه الابتسامة أو تلك الكلمة، وكأنه لا بـــد من مقابل لكل تصرف أو عمل نقوم به.

هذه المادية البحتة التي ترسخت في أذهان الكثيرين منا، باعدت بـين الأحباب والأصحاب، وهذا الشح في إظهار المشاعر والعواطف خوفا من سوء الفهم أو حتى ترفعا أو انشغالا، أورثنا انسلاخا في الروابـــط، وأدى ببعضنا إلى الاكتئاب والوحدة والأمراض النفسية.

فلنسأل أنفسنا ونتفكر كم منا يقول لأبنائه إنه يحبهم؟ كم منا مـــن يضمهم ويقبلهم؟ كم منا من يقول لوالديه إنه (حاضر) وفي (أمرهـــم)؟ كم منا من يتصل بصديق أو صاحب، فقط ليسأل عنه دون أن يرجو منه

قضاء حاجة أو مصلحة أو (التوسط) في موضوع؟ كم منا من يزور جيرانه بين فترة وأخرى ولا يكتفي بإرسال أطباق الطعام في (رمضان) بل ويمتعض إن أعادوا الصحون خالية؟ كم منا من يتصل بعمته أو خالته أو أهل أبيه أو أمه ليسأل عن صحة الكبير ونجاح الصغير؟ كم منا من يشعر بالوحدة في يوم إجازته ويتمنى لو أن (فلانا) صديقه يتصل به ويأبى أن يكون هو البادئ؟ كم منا من يرى حزينا فيشجعه ويواسيه (أن الدنيا حقيرة) وأن الحزن يهون؟ كم منا من يشد على يد محسن ويقول (الله يعطيك العافية)؟ كم منا من يثني على مجتهد ويتمنى له المزيد دون أن يضمر في نفسه شيئا آخر؟ من منا من لا يحتاج للكلمات الحانية والمواساة أو التشجيع من أهله وأصحابه؟ من منا لا يفرح باتصال عزيز (طال عليه الأمد) أو بمكالمة من أخ أو أخت، طال العهد به؟ كم مرت علينا مواقف نسمع فيها أن فلانا أو فلانة توفاهم الله،فنعض أصابع الندم ليتنا حادثناهم من قريب؟ أو نتحسر أننا لم نصلهم أو نبرهم؟ لماذا ننتظر حتى يقع لفلان حادث كي نتصل ونطمئن عليه، أو فلانة تضع مولودا حتى نبارك لها بذلك؟ لماذا ننتظر حتى يمرض فلان أو ينجح فلان، وكأن صلاتنا ومشاعرنا مرتبطة بالمناسبات؟ وكأننا كالحواسب الآلية مبرمجون على مناسبات معينة، بل قد تأتي المناسبات وتذهب ولا نأبه بها، ونترك من وراءنا قلوبا كسيرة وخواطر لا جابر لها إلا الله، ثم نتعلل بالمشاغل، وننسى أنه قد يصيبنا ما أصابهم فنتمنى الكلمة أو الابتسامة فلا نجدها؟.

أسئلة لابد لنا من التأمل فيها،حتى لا نفاجأ بالمشيب وقـــد غزانـــا وليس من صاحب، أو نفاجأ بالأجل قد أتانا فنقول: لـــو أنـــا عملنـــا وأعطينا ووصلنا؟ ونفاجأ بالمصيبة فنبحث عن مخلص فلا نجد.

(مجلة الأسرة العدد ١٠٠ ص ١٣).

والكيس من دان نفسه و لم يتمن على الله الأماني، قال صلى الله عليه وسلم: (ليس الواصل بالمكافئ،ولكن الواصل الذي إذا قطعـــت رحمـــه وصلها) رواه البخاري (٥٩٩١) وأبوداود (١٦٩٧).

وقال ابن عمر ـــ رضي الله عنهما: (من اتقى ربه، ووصل رحمـــه نسئ في أجله، وثرى ماله، وأحبه أهله).

أرأيتم أيها الإخوة لو أن إنسانا أعطاه الله تعالى نعمة المال الكثير و لم يستثمره في الإنفاق على نفسه أو على من تجب النفقة عليهم، ما تقولون فيه؟... هل هناك بخل وتعطيل للمال كهذا؟

فكذا حال الزوج أو الزوجة أو الصديق أو القريب الذي يدخـــر عواطفه فلا يعطي أحدهما الآخر حبه وحنانه.

وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له إني أحب فلانا (أأعلمتـــه) قال لا قال (أعلمه) فلحقه فقال إني أحبك في الله فقال أحبك الله الـــذي أحببتني فيه. رواه أبوداود بإسناد صحيح.

بل وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فقال (إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح.

والحكمة من ذلك أن تحصل بينهما المودة والصلة والتزاور والمناصحة والتعاون، فتزداد بذلك المحبة وتتوثق عرا الأخوة.

فليتعود الزوجان ألا يخرج منهما إلا الطيب من القول، فهذا أسرع إلى القلب، وأدعى إلى المودة، وأدوم لحسن العشرة يقول الحق تبارك وتعالى (وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد) (الحج:٢٤)، ويقول صلى الله عليه وسلم (الكلمة الطيبة صدقة) فيدخل الواحد منهما بيته ملقيا تحية الإسلام وقد ارتسمت الابتسامة على محياه معطية السلام قوة ومعنى، فلندع العبارات الرقيقة والكلمات العذبة تملأ أجواء الحياة الأسرية عطرا فواحا يزكي القلوب ويحيي النفوس.

٦- سادس هذه الإرشادات هي التدرب على ضبط الأعصاب وكظم الغيظ.

في محيط الأسرة وبالأخص الزوجين لو حرص كل منهما على التدرب الذاتي لضبط الأعصاب لاختفت الخلافات بينهما أو كادت.

وحتى ينجح الزوجان في تحقيق مرادهما في ضبط الأعصاب والتحكم بالانفعالات يمكنهما الاتفاق على أسلوب إيجابي في التعامل مع الخلافات، أساسه تجنب العتاب واللوم وإحلال الصمت محله خاصة إذا كان الطرف الآخر منفعلا.

الكل يعلم أن القوة ليست بعلو الصوت ورفع اليد ولكن القوة بامتلاك النفس عند الغضب، قال صلى الله عليه وسلم (ليس الشديد

بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) رواه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩).

وحتى لا نفقد السيطرة على انفعالاتنا حال الصمت والطرف الآخر يكيل التهم والادعاءات فعلينا أن نستعين بشيء من القرآن نتلوه بصوت غير مسموع فإن ذلك يحمل النفس على الهدوء ويصرفها عن التأثر والانفعال.

يقول الشاعر:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى ويأباك قلبي والقلوب تقلب

وإليك هذه القصة:

قال النعمان بن بشير: استأذن أبوبكر على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت عائشة عاليا، وهي تقول: والله لقد علمت أن عليا أحب إليك من أبي! فأهوى إليها أبوبكر ليلطمها، وقال: يا ابنة فلانة، أراك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأمسكه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج أبوبكر مغضبا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا عائشة، كيف رأيت، أنقذتك من الرجل) ثم استأذن أبوبكر بعد ذلك وقد اصطلح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة فقال: أدخلاني في السلم كما أدخلتماني في الحرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد فعلنا) رواه النسائي.

٧- سابع هذه الإرشادات أسلوب العتاب السليم.

وأفضل أسلوب للعتاب هو استخدام الرسائل، فكم هـي وسـيلة إيجابية في إيصال ما يريده الإنسان من الآخر مع استيعاب الطرف الآخـر لما يراد منه، فليس هنا مجال للمقاطعة والحرمان من إبداء الرأي.

يقول الشاعر:

وأفضل العتاب ما كان في كتاب

٨- ثامن هذه الإرشادات هي التنازل:

حتى تستمر العلاقة الطيبة بين كل حميمين لا بد أن يتنازل أحدهمـا عن أمر يرغب به أحيانا كثيرة، أما التشبث والعناد فـهو أول الطريـق لتخسر العلاقة التي طالما حرصت عليها.

وحتى يتولد الحب بين الزوجين مثلا ويمد جذوره في جنبـات الحياة الزوجية فلا بد للزوجين من انتهاج أسلوب التنازلات، وخاصـة الزوجة حتى تملك على الزوج قلبه وتأسره بأخلاقها، فتنازلها عن أمر هي راغبة به أشد الرغبة ــ حسما للخلاف، وحفاظا على حياتها الأسرية ــ دليل على سمو أخلاقها ورجاحة عقلها... ولا مانع من أن تعاود طلبـها وتحاول مرة أخرى في ظروف يكون الزوج أكثر هدوءا واستعدادا لتنفيذ ما ترغب به الزوجة.

(أغلب هذه الإرشادات مأخوذة من نشرة بعنـوان: مـهلا السـعادة أمامكما، إصدار مكتب الاستشارات الأسرية في وزارة العدل بالكويت).

ومثال على التنازل من الأحكام الشرعية أن للمرأة أن تعقد صلحا مع زوجها إن كان سبب إعراضه عنها من طرفها كمرض أو كبر أو دمامة أو غير ذلك، فلا بأس أن تتنازل وتضع عنه بعض حقوقها تسترضيه بذلك.

قال تعالى (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليها أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير) (النساء:١٢٨).

والصلح هنا يعتمد على التنازل، ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في هذه الآية:

الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول له أجعلك من شأني في حل، فترلت هذه الآية في ذلك.

وهذا ما فعلته سودة بنت زمعة عندما أحست أن النبي قد رغب عنها لسبب ما فتنازلت عن يومها لعائشة فرضي النبي بذلك وأبقاها أما للمؤمنين.

وكذلك قال العلماء بالنسبة للرجل بأنه يسن للزوج إذا كرهت زوجته صحبته لأي سبب مما ذكر أن يستعطفها بما تحب من زيادة النفقة ونحوها حتى تبقى معه.

وإنك لن تجد ــ مهما بحثت ــ في أي دين أو في أي قانون أو في أي مبادئ أخلاقية مثلما تجد في الإسلام من حرص على الأسرة، ورحمة بها، وتنظيم لكل صغيرة وكبيرة من شئونها. حتى الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله تعالى وضع الإسلام له قواعد تخفف من وطأته

على المرأة وتعطيها نوعا من التعويض في صورة متعة، وتقصر أمد العـدة مهما أمكن ذلك. وهذا كله له بحوثه الخاصة به ليس هنا مجال ذكرها.

٩- تاسع هذه الإرشادات هو احتواء المشكلة.

روى البخاري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيـت عائشة مع بعض أصحابه فأرسلت له زينب بنت جحش إحدى زوجاتـه قصعة فيها طعام مع خادم لها، فضربت عائشة بيدها فكسرت القصعـة، فماذا صنع النبي صلى الله عليه وسلم؟

ضم أجزاء القصعة المكسورة وجعل فيها الطعام وقال (كلوا غـلوت أمكم)، فلما فرغوا من الطعام أتى بقصعة صحيحة ودفعها إلى الخـادم بدلا من المكسورة.

انظر الحديث في فتح الباري ٥(ح٢٤٨١).

فهو صلى الله عليه وسلم اعتذر لعائشة بأن الذي حملها على كسـر الإناء هو الغيرة التي تكون بين الضرائر، لكنه صلى الله عليـه وسـلم أنصف زينب فبعث لها بإناء جديد صحيح، ويكون بذلك قد احتـوى الموقف والمشكلة وانتهت عند هذا الحد.

فاحتواء المشكلة سريعا بحلول سريعة أو إصلاح سريع هدي نبوي.

أما تأجيل علاج المشكلة أو إصلاحها مع القدرة على ذلك زمنـا طويلا فهو الخطأ كل الخطأ.

معرفة أسباب حدوث المشكلات يعين على تجنبها.

ينبغي معرفة الأسباب التي تؤدي إلى حدوث المشاكل غالبا والتي قد تؤدي بعد ذلك إلى الطلاق في حال العلاقة الزوجية، أو الهجر والقطيعة في غيرها، فإن معرفة الأسباب تعين على تجنب ذلك كله، فالوقاية خير من العلاج.

وهذه الأسباب عديدة ومتنوعة وأحيانا تكون تافهة، منها:

١- تدخل الغير سلبا:

قد يدفع الحسد أو الجهل أو أسباب أخرى بعض الناس أن يتدخل في حياة الزوجين مثلا سلبا فيسعى في أن يطلق الزوج زوجته ويظن أنه بذلك يصلح الأمور في حين أنه يفسدها.

وقد يقول بعض الناس لأحد المتخاصمين: المفروض أنك رددت عليه وسكوتك ضعف، يقول ذلك من باب الحرص عليه فيؤجج الموقف ويزيد الأمر اشتعالا.

وقد حضر بعض الفضلاء مجلس صلح بين زوجين فقام خال الزوجة يتكلم رافضا للإصلاح فرد عليه الأخ الفاضل بما أوقفه عند حده قائلا له: لقد جئنا لنصلح، لا لأن نسمع لمن ليس طرفا ولا وليا للزوجة ما لا يجوز أن يقال في مجالس الصلح.

وحين تتدخل بعض الأمهات في حياة ابنتها الزوجية وتكون هي الموجهة والمستشارة التي يعتمد عليها في إدارة عش الزوجية، وهذا ما يثير

غضب الزوج بأن حياتهم مكشوفة لدى الآخرين وأن زوجته لا تستطيع حفظ الأسرار، كما أن التصاقها بأمها يعني عدم نضج شخصيتها وعدم استقلاليتها في التفكير، وكما يحدث مع أم الزوجة قد يحدث مع أم الزوج.

ولعلاج هذا التدخل السلبي من الأم نقول بأن على الزوجة أن تستقل بشخصيتها ورأيها فإن ذلك يكسبها ثقة زوجها كما أنها بذلك تحافظ على أسرار حياتها، وهذا لا يعني الاستغناء عن نصائح الكبار وخبرتهم بالحياة.

٢ - عدم قبول العذر:

قد أوجب الإسلام علينا أيها الإخوة قبول عذر المعتذر فقد روى بن ماجه (٣٧١٨) وأبو داود في المراسيل (٥٢١) أنه صلى الله عليه وسلم قال (من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس) وصاحب المكس هو الذي يأخذ أموال الناس ظلما، وفي رواية (من اعتذر إليه أخوه المسلم فلم يقبل اعتذاره لم يرد علي الحوض) رواه أبو الشيخ، انظر مجمع الزوائد (١٨٣/٨) والترغيب والترهيب (٤٧٩/٣، ٤٨٠).

وما أقسى الزوج أو الزوجة أو أحد المتحابين أو الصديقين عندما يعتذر أحدهما للآخر بالأعذار ويحلف على ذلك ثم لا يقبل.

وقد قيل: التمس لأخيك سبعين عذرا فإن لم يقبل قلبك فرد اللوم على نفسك وقل لقلبك: ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله، فأنت المعيب لا أخوك.

هل ترضى أن تعتذر إلى الناس ثم لا يقبلوا عذرك، فكما لا ترضاه لنفسك ينبغي أن لا ترضاه لغيرك.

أنشد أبو بكر بن بهلول:

وما كنت أخشى أن ترى لي زلة ... ولكن قضاء الله ما عنه مذهب

إذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه ... وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

وقال محمد بن سيرين: إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا فإن لم تجد له عذرا فقل له عذر.

وأنشد أحمد بن المعدل:

إذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا ... إليك فلم تغفر له فلك الذنب.

وقال إسحاق الموصلي: كان يقال الاعتراف يهدم الاقتراف.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا.

وجرى بين ابن السماك وبين صديق له كلام فقال له صديقه: الميعاد غدا نتعاتب فقال: بل الميعاد غدا نتغافر.

وأنشد بعضهم:

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا إن بر عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من أرضاك ظاهره وقد أضلك من يعصيك مستترا

ولبعضهم:

قيل لي قد أساء إليك فلان ومقام الفتى على الذل عار

قلت قد جاءنا وأحدث عذرا دية الذنب عندنا الاعتذار

٣- طلب العصمة من الآخرين:

أن الزوج مثلا يريد من زوجته أن تكون معصومة لا ترفض له طلبا وتطيعه طاعة عمياء ولا تخطئ أبدا، ويستتبع هذا أنه لا يمكن أن يعذرها في حال أنها أخطأت من غير قصد أو رغما عنها.

وكذلك بين الإخوة والأصدقاء يفترض أحدهم أن صاحبه لا يمكن أن يخطئ أبدا، فإن أخطأ في حقه ولو كان الخطأ صغيرا كبر هذا في نظره وعده من الكبائر، وليس الأمر كذلك.

إن الخطأ لا يخلو منه بشر، والعصمة للأنبياء وحدهم، ولو أردت أخا في الله لا يخطئ فإنك لن تجد، قال الشاعر:

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث، أي الرجال المهذب

٤- عدم الاحترام المتبادل:

من أهم الأشياء في أي خـــلاف الاحـــترام المتبـــادل، بالألفـــاظ والتصرفات، فكل خلاف تعدى حدود الأدب يصعب ترميمه، خاصـــة مع التكرار.

فالواجب أن تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك، والصداقة لا تعـــني قلة الأدب مع الصديق، أو عدم احترام أهله أو معارفه.

كثيرا ما نسمع عند حصول القطيعة أن السبب: فلان لا يحـــترمني، لقد أهانني أمام الناس، لقد أحرجني بسؤاله أو بكلامه.

أين الاحترام المتبادل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (وخـــالق الناس بخلق حسن).

ولنضرب مثالا على ذلك من الحياة الزوجية:

عدم احترام الرجل للمرأة وإهانته لها أمام الناس أو أمام أقاربهـــا أو أمام أولادها وأحيانا إيذاؤها نفسيا أو جسديا، وأحيانا سبها وشـــتمها والسخرية منها من أهم أسباب حدوث المشكلات بين الأزواج.

والحياة الزوجية مبنية على الحب والمودة والاحترام، وحسن المعاشرة والكياسة في المعاملة، واللباقة في التصرف من شأنها أن تمد الحياة الزوجية بشحنات متجددة من الحب والمودة والرحمة.

والمعاملة السيئة، والعجرفة في التصرف وإطلاق مدفعيـــة الســـب والشتم واللعن والسخرية والاحتقار من شأنها أن توجد التوتر، وتذهـــب

الحب، وترفع حرارة البغضاء والشحناء، فتسوء حالة الأسرة ويتأثر الأبناء أسوأ تأثر، وقد يبغضون أباهم لأنه يهين أمهم على مرأى منهم ومسمع، وقد يولد ذلك في نفوسهم مرارة وحقدا على أبيهم وعلى كل الرجال فينشئون على ذلك، ويكون له أثر سيئ في سلوكهم الاجتماعي واتصالهم بالناس.

فليحذر الزوج من أن تبدر منه مثل هذه الأمور المشينة إلى الزوجة وليعلم أن الإيذاء بجميع أنواعه حرام لأي إنسان ولأي مخلوق ولو حيوان أو حشرة.

والله تعالى يعذب الذي يعذب إنسانا أو حيوانا فما بالك بمن يعذب زوجته؟ بمن يعذب أسيرته التي ملك أمرها بعهد الله وكلماته؟ بمن يعذب لصيقته ومن امتزج بها وامتزجت به؟ بمن يعذب أم أبنائه وشريكة حياته وسكن نفسه؟ بمن يعذب حارسة ماله، ومنظمة معاشه، ومربية أولاده، وملبية رغباته؟ بمن يعذب من رضيته زوجا وحاميا وسندا وأملا وملاذا لها؟ بمن يعذب من تفني في سبيله وسبيل أبنائه شبابها وجمالها وحياتها؟

بمن يعذب من اعتمدت عليه دون أهلها، وأغضبتهم في سبيل إرضائه حتى تخلوا عنها؟

إن واجب المسلم أن يجبر القلب الكسير، ويضمد النفس الجريحة، ويفرج كرب المكروب، فما بال هذا الزوج يكسر ويجرح وينزل الكرب على زوجته؟

نسي أنها أخته في الإنسانية، وأنها أخته في الإسلام، وأنها جارتــه في الحياة وأنها قدمت إليه معروفا كثيرا، كما نسي أنها زوجته.

إن الله تعالى حرم على المسلم أن يؤذي أخاه المسلم بنظرة أو بكلمة أو بحركة، وأوجب على كل مسلم أن يحترم شعور أخيه المسلم على أي حال، قال صلى الله عليه وسلم (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخـــاه المسلم).

فما بال الزوج النكد يصب البلاء على زوجته صبا بغير حســـاب؟ ألا يعلم أنها ستأخذ بتلابيبه يوم القيامة أمام الله تعالى وتطالبه بحقوقـــها وجزاء ظلمها، والله ــ أعدل الحاكمين ــ لن يتركه حتى يأخذ لها جميع حقوقها، بأن يعطيها من حسنات زوجها فإذا لم تكف أخذ من سـيئاتها فوضعت عليه ثم كب في النار؟ عن أبي هريرة أن رسول الله صلـــى الله عليه وسلم قال (أتدرون من المفلس؟) قالوا: المفلس فينا من لا درهم لــه ولا متاع فقال (إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيـــام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هـــذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) رواه مسلم (٢٥٨١) والترمذي (٢٤١٨).

إن الرجل حين يستغل ضعف المرأة ليسيء إليها وينغـــص حياتهـــا ويكدر عيشها بدون سبب يكون قد فقد عنصر الإنسانية فيه، إنه حينئـذ

وحش آدمي.. إنه ذئب.. إنه لا يوضع أبدا في صف المسلمين، لأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يقول الرجل لامرأته قبحك الله، أو قبح الله وجهك، فما بالك بالسب واللعن والهجر والضرب؟

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما حق المرأة على زوجها قال (يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يقبح الوجه، ولا يضربها إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في المبيت) رواه أحمد (٤/٤٤٧) وأبوداود (٢١٤٢) وارجع إلى السلوك الاجتماعي في الإسلام لحسن أيوب ص ٢١٥،٢١٤.

٥- عدم مراعاة الحقوق:

سواء كان حق الجار أو الرحم أو الكبير أو المعلم، ونحب أن نذكرها فيما يلي:

أولا: حق الجار.

ترجع المشاكل التي تقع بين الجيران غالبا إلى عدم مراعاة حق الجار.

قد يختلف ويتخاصم الجيران بسبب موقف سيارة أو بسبب الأولاد أو بسبب المصعد أو بسبب نظافة العمارة أو المدخل أو يختلفون على أموال بينهم أو غير ذلك من الأسباب.

وهنا نقول للجيران اتقوا الله وراعوا حقوق الجوار وأصلحوا ذات بينكم واعرفوا للجار حقه، وليكن العفو والمغفرة شعار التعامل بين الجيران.

ولقد اهتم القرآن والسنة بحقوق الجار اهتمام عظيما، فالقرآن وضع حقوق الجار مع حق الله وحق الوالدين والأرحام، والسنة أظهرت أن جبريل ما زال يوصي النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بحقوق الجار حتى ظن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن الله سيجعل الجار وارثا من شدة التأكيد على حقوقه.

كما بينت السنة أن الذي يقصر في حق جاره أو يؤذيه يعتبر مرتكبا كبيرة من الكبائر، وأن القيام بحق الجار واجب من الواجبات الشرعية الهامة، وإليك بعض الأدلة:

قال تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وبالوالدين إحسانا، وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى، والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) (النساء:٣٦).

قال القرطبي: (والجار ذي القربى) أي القريب (والجار الجنب) أي الغريب. قاله ابن عباس وكذلك هو في اللغة... إلى أن قال: وقال نوفل الشامي: (الجار ذي القربى) المسلم (والجار الجنب) اليهودي والنصراني.

وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: (قال رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) رواه البخاري (٦٠١٤) ومسلم (٢٦٢٤) وغيرهما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت) رواه البخاري (٦١٣٦) ومسلم (٤٨).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره) رواه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، وانظر الترغيب والترهيب (٣/٣٣٦).

وعن نافع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (من سعادة المرء الجار الصالح والمركب الهنيء والمسكن الواسع) رواه أحمد (٣/٤٠٧) ورواته رواة الصحيح، وانظر مجمع الزوائد (٨/١٦٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ـ صلى الله عليه مسلم ـ قال: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل من يا رسول الله قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه) رواه أحمد (٢/٢٨٨) والبخاري

(٦٠١٦) ومسلم (٤٦). وزاد أحمد، قالوا يا رسول الله وما بوائقه؟ قال (شره).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبدا لا يأمن جاره بوائقه) رواه أحمد (١٥٤/٣) وأبو يعلى (٤١٨٧) والبزار (كشف الأستار ٢١) وإسناد أحمد جيد، انظر مجمع الزوائد (٥٤/١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه مسلم ـ يشكو جاره، فقال له (اذهب فاصبر، فأتاه مرتين، فقال: اذهب فاطرح متاعك في الطريق ففعل، فجعل الناس يمرون ويسألونه، فيخبرهم خبر جاره فجعلوا يلعنونه (فعل الله به وفعل) وبعضهم يدعو عليه، فجاء إليه جاره فقال: ارجع فإنك لن ترى مني شيئا تكرهه) رواه أبو داود (٥١٥٣) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (٥٢١) والحاكم (١٦٠/٤) وقال صحيح على شرط مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في النار، قال: يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها، قال: هي في

الجنة) رواه أحمد (٢/٤٤) والبزار وابن حبان في صحيحه (٥٧٦٤) والحاكم (٤/١٦٦) وقال: صحيح الإسناد.

وبذلك ندرك خطر إيذاء الجار وعظم شؤمه وسوء مآله ولا ينجو من ذلك إلا القليل، فإن الغيبة والنميمة والسب واللعن والشتم أشد ما تكون بين الجيران سواء الجيران في المسكن، والجيران في العمل، والجيران في المدرسة والفصل وغيرها، فكل إنسان يجاورك مدة طويلة كل يوم يعتبر جارا لك، له عليك حقوق وواجبات ولك عليه كذلك.

قال الإمام الغزالي في الإحياء:

وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر السؤال عن حاله لأن ذلك قد يحرجه، ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر المشاركة والسرور معه، ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح على عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا يصب الماء أمام داره، ولا يضيق طريقه إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عيوبه وأخطائه، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلاما، ويغض بصره عن حريمه، ولا يديم النظر إلى خصوصياته، ويتلطف مع أولاده في الكلام، ويرشدهم إلى ما يجهلونهم من أمور الدين، ولهم مع ذلك جميع الحقوق التي هي لعامة المسلمين.

ويعظم حق الجار إن كان مسكينا، أو أرملة، أو يتيما، أو مسنا.

ثانيا: حق الرحم.

ما أكثر المشكلات بين الأرحام مع أن الشرع اهتم بصلة الرحم اهتماما كبيرا، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الرحم متعلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله) رواه البخاري (٥٩٨٩) ومسلم (٢٥٥٥).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها) رواه البخاري (٥٩٩١) وأبوداود (١٦٩٧) .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال (لا يدخل الجنة قاطع) قال سفيان في روايته يعني قاطع رحمه، رواه البخاري (٥٩٨٤) ومسلم (٢٥٥٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم) رواه أحمد (٢/٤٨٤).

ومعنى صلة الرحم:

تفقد أحوال القرابة، وزيارتهم والسؤال عنهم، وإعانة فقيرهم ومحتاجهم، وإجابة دعوتهم، ومشاركتهم في السراء والضراء.

ثالثا: حق الكبير.

كثير من الشباب أو الشابات لا يراعون حقا للكبير ولا يستعملون الأدب معه، والإسلام شرع من الآداب الخاصة به ما يلي:

١- تقديم الكبير عند المشي وعند الدخول والخروج وغير ذلك، روى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال (كنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نضع أيدينا ــ أي في الطعام ــ حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

٢- توقير الكبير واحترامه: وكان صلى الله عليه وسلم يهتم بتوقير الكبير لدرجة أنه تبرأ من الذين لا يوقرون الكبير ولا يهتمون بمكانتهم فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا) رواه أبو داود (٤٩٤٣) والترمذي (١٩٢١)، وقال حديث حسن صحيح.

وعن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم) رواه أبو داود (٤٨٤٣).

وهنا ننبه إلى أنه أحيانا يكون الحق مع صغير السن لكن هذا لا يبرر له رفع صوته على الكبير وإيذاءه.

فهو بفعله هذا قد وقع في الحرام حيث لم يوقر الكبير ويرفق به.

رابعا: حق المعلم.

وقد حرص الإسلام عليه وعد العلماء ورثة الأنبياء، ومن الآداب الخاصة به:

- أن تشعر أن الصلة بينك وبين معلمك مثل الصلة بينك وبين أبيك.
- التواضع للمعلم والتأدب معه وفي الدخول عليه.
- احترامه وتقديره.
- طاعته بالمعروف والانقياد له.
- أن لا يسأل إلا بإذن المعلم.
- أن لا يفشي أسرار المعلم لأحد.
- أن لا يغتاب المعلم ولا يرضى من أحد أن يغتابه.
- أن يناديه بأحب الأسماء إليه.
- أن يصبر على ما يصدر من المعلم أحيانا من جفوة أو شدة، وألا يستعجل منه شيئا.
- الاعتراف الدائم بفضل المعلم عليه.

أما الاجتراء على المعلم والوقاحة معه ومعاملته معاملة قاسية نابية بعيدة عن الأدب وحسن التربية فهذا ليس من الدين في شيء.

وقد قال موسى للخضر لما أراد أن يتخذه معلما (قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) (الكهف:٦٩).

٦- المجالس:

ومن أسباب حدوث المشكلات المجالس، وفي المجالس لا يكون هناك تكلف في الكلام بل يكون التخفف، وتعرفون أنه إذا ارتفعت الكلفة كثر المزاح وأنواع الكلام فتقع المشكلات.

وكثرة المجالس بين الأقارب طبيعية ومشروعة، لكن لها آداب يطلب من المسلم الحرص عليها لتظل الروابط بين المسلمين محكومة بأصول من الذوق الرفيع والنظام الجميل وإعطاء كل ذي حق حقه.

وسأذكر هذه الآداب ونرى كيف يخالفها كثير من الناس فتكون سببا لوقوع المشكلات.

آداب المجالس:

١- ألا يقيم أحدا من مجلسه ليجلس فيه:

روى البخاري (٦٢٧٠) عن ابن عمر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه (نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا)

وكان ابن عمر يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه.

وروى مسلم (٢١٧٧)عن جابر أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال (لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالف إلى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول أفسحوا).

والحكمة في النهي الحث على التواضع، ومنع استنقاص حق المسلم لأن هذا يؤدي إلى حصول الضغائن والأحقاد.

كيف تحصل المشكلة؟

أحيانا يقول أحد الجالسين يا فلان قم حتى يجلس فلان، فيقوم استحياء ويقول في نفسه: يقيمني ويجلس فلانا مكاني، لماذا؟ أهو أحسن مني، وتبدأ المشكلة ويبدأ الخصام والهجر لعدم مراعاة هذا الأدب النبوي.

٢- لا يفرق بين اثنين لا فرجة بينهما:

لا يجوز للداخل إلى المجلس أو الموجود فيه أن يذهب إلى اثنين متجاورين ليس بينهما فرجة يحتاج إليها ويفرق بينهما في المجلس إلا أن يأذنا له، لأن ذلك يعتبر تطفلا عليهما وإيذاء لهما وبعدا عن الذوق السليم والأدب، لذلك قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لا يحل للرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما) رواه أبو داود (٤٨٤٤) والترمذي (٢٧٥٣) وقال حديث حسن.

وهنا تحصل المشكلة فيما لو دخل أحد فذهب وتعمد أن يجلس بين اثنين ليس بينهما فرجة، أو ناداه أحد الجالسين ليجلسه بينه وبين مجاوره وليس بينهما فرجة فآذاه وضايقه وأوحر صدره عليه.

٣- لا يتناجى اثنان معهما ثالث:

الأصل في هذا حديث البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال (إذا كانوا ثلاثة لا يتناجى اثنان دون الثالث) أي لا يتحدثان سرا.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه) أي يدخل الحزن على الآخر، رواه البخاري ومسلم.

فقد دل الحديثان على عدة أحكام:

- منها أنه لا يحل لرجلين أو امرأتين يجلسان في مكان ومعهما ثالث أو ثالثة أن يتحدثا سرا بحيث لا يسمع الثالث، لأن ذلك يحزنه ويؤذيه فقد يظن أنهما يتآمران عليه، أو يظن أن إسرارهما وإخفائهما الحديث عنه لسوء رأيهما فيه.

- ومنها حرص الإسلام على مراعاة شعور الأخ المسلم والأخت المسلمة.

- ومنها أنه إن وجد رابع يتحدث مع الثالث ويجالسه فإن التناجي بين الاثنين جائز لأن الثالث وجد من يحادثه، فإن كان الموجودون جماعة فالجواز أولى.

- ومنها أن الثالث إذا وجد معه رابع ولكنهما متباعدان، أو متخاصمان فإنه لا يحل التناجي لأن الإيذاء موجود في هذه الحالة.

- ومنها إذا كان الاثنان لا يتكلمان سرا بحضرة الثالث ولكن يتكلمان بلغة لا يفهمها الثالث فإنه حرام.

- ومنها أن هذا الحكم ينطبق على ثلاثة موجودين من الأصل، فإن كان اثنان يتناجيان ودخل الثالث عليهما فإن لهما أن يتناجيا كما كانا وعليه هو أن يخرج إلا إذا كان المكان خاصا بالثالث ولا مكان له سواه. أو كان كل مدعوا إلى وليمة أو إلى جلسة معينة وسبق الاثنان، فإنهما لا يحل لهما الإسرار عند دخول الثالث، لأن حقه في الدخول ثابت فلا يعتبر متطفلا عليهما.

- ومنها أنه لا يجوز أن يتناجى أكثر من اثنين ومعهم واحد لا يشترك معهم في الحديث، فإن ذلك يؤذيه كما لو كان معهم اثنان، والإيذاء حينئذ أشد.

ومنها أن هذا الحكم يستثنى منه حالة ما إذا أذن من يبقى وحده لمن معه في التناجي، لأن إذنه عن رضا دليل على عدم تأذيه.

٤- ومن آداب المجالس كذا **مراعاة آداب الحديث** وهي كالتالي:

١- أن تنصت إذا تكلم أخوك.

أما سمعتم أن فلان هجر فلانا لأنه دائما يقاطعه.

٢- أن يختار المتحدث الكلمة المناسبة.

كثيرا ما نسمع، والله فلان ما يعرف يتكلم، وكما يقولون يخبص بالكلام، مثل هذا غالبا ما يفقد من حوله.

٣- أن لا يظهر أخاه أمام نفسه ولا أمام غيره في صورة الجاهل أو الأحمق أو البليد وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)، مثل هذا يقول فلان يحتقرني ويضحك الناس علي.

٤- أن لا يجادل جدالا منهيا عنه. وقد رغب الإسلام في تركه وتكفل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمن تركه بقصر في ربض الجنة كما مر معنا.

٥- احترام الآخرين في المجلس. فيوقر الكبير ويرحم الصغير، وإذا تكلم تكلم بكلام مفهوم بصوت وسط لا هو عال ولا هو منخفض لا يسمع.

٦- حسن المجالسة ولطف المعاشرة. يطلب من الجليس أن يحسن مجالسة جليسه، وأن يكون لطيفا في معاشرته ومحادثته، وأن يتجنب التعسير وأسلوب التنفير، والمشاقة في الحديث والجدال فيه، وأن يحرص على البشاشة وطيب الكلمة فإن ذلك كله مما أمر به الشرع ورغب فيه لتظل القلوب متقاربة متآلفة متحابة.

قال تعالى لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) (آل عمران:١٥٩).

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق) رواه مسلم، والوجه الطليق هو الوجه البشوش الذي يظهر السرور عليه.

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حديث رواه مسلم: (والكلمة الطيبة صدقة).

٧ــ إذا أعطيت وعدا أن تفي به. قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان) متفق عليه، البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩).

٨ــ ومن آداب المجالس الاهتمام بالنظافة وإزالة الرائحة الكريهة.

وذلك لأن الرائحة الكريهة مؤذية للجالسين، ومنفرة لهم، وقد يترك بعضهم المجلس بسبب ما يشمه من رائحة كريهة، مثل رائحة العرق، والجسم الذي مضى عليه وقت طويل بغير غسل، ورائحة من أكل ثوما أو بصلا أو فجلا، ورائحة من يباشر عمل يسبب الرائحة الكريهة، كرائحة الجزار، والزبال، ومنظف المراحيض وغيرهم إذا كانت الرائحة عالقة بهم.

فهؤلاء وأمثالهم عليهم أن يتجنبوا مجالس الناس وجماعتهم حتى لا يؤذوهم برائحتهم الكريهة المنفرة، ومثلهم من يعلم أن به بخرا (نتن فمه)، أو أن به جرحا أو مرضا له رائحة كريهة.

والأصل في ذلك كله نهي النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من أكل ثوما أو بصلا لم يطبخا أن يعتزل المسجد وجماعة المسلمين حتى تذهب الرائحة، وكان ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إذا شم من إنسان رائحة الثوم أو البصل أمر به فأخرج من المسجد، وذلك دليل حرمة الاختلاط بالناس مع وجود الرائحة المؤذية.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ـــ صلى الله عليه وسلم: (من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا، أو فليعتزل مسجدنا). رواه البخاري (٨٥٤) ومسلم (٥٦٤).

وفي رواية لمسلم (من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم).

وخطب عمر بن الخطاب يوما فقال في خطبته يوم الجمعة: (ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين ما أراهما إلا خبيثتين: البصل والثوم، لقد رأيت رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع، فمن أكلها (أي أراد أكلها) فليمتها طبخا). رواه مسلم (٥٦٧).

(وانظر هذه الآداب في السلوك الاجتماعي لأيوب ص ٤١٠_٤١٩)

٧- الصغار:

ومن أسباب المشكلات ما يتعلق بالأطفال والصغار إذا لم يحسن الآباء أو الأمهات علاج ما يقع بينهما من مشاكل صغيرة.

أيها الإخوة: طبيعي إذا اجتمع الأقارب أن يكون معهم الصغار والأطفال، وطبيعي أن يلعب الأطفال معا، وطبيعي أن تحدث بينهم بعض المشكلات: هذا الطفل يضرب هذا وهذا يأخذ من هذا لعبته، وهذا يشتمه وهذان يتعاركان، فيتدخل الآباء أو الأمهات، فما الذي ينبغي فعله؟

الذي ينبغي فعله هو التالي:

١- عليهما أولا أن يفضا النزاع بين الأولاد.

٢- وعليهما ثانيا أن يستمعا لكلا الولدين.

ربما تبين لهما المخطئ وربما لا يتبين لهما ذلك، فإن تبين لهما المخطئ فعليهما أن يقفا مع المظلوم ويعتذرا إليه، ويأخذ الأب أو الأم ابنه المعتدي فيعاقبه بعقوبة ملائمة.

وينبغي بعد ذلك أن يصلحا بينهما ولا يجوز أن يتركاهما دون إصلاح، ونجد الأولاد بعد ذلك يعودون إلى اللعب مرة ثانية معا،

ويستحسن في مثل هذه الأحوال أن يكون عليهم رقيب من الكبـــار في أثناء لعبهم حتى لا يتكرر عراكهم.

ماذا يحصل عندما لا يحسن الأبوان التصرف؟:

يتعصب كل منهما لولده ويبدأ بتأنيب الولد الآخـــر مـــن دون أن يستمع له وربما ضربه ضربا شديدا، فيقوم أب الطفل الآخر بالدفاع عن ابنه ويتطور الأمر فبدلا من أن الأمر كان مقتصرا على شجار الأطفـــال صار الآباء يتشاجرون.

يجب في الشجار بين أطفال الأقارب خصوصا أن يتصرف الأبـــوان بدافع الشفقة والعطف على كلا الولدين، وأن يستعملا أسلوب الرفـــق وأن يعملا على تهدئة الأمور أولا ولا يسمحا بتطور الأمور، وإن كـــان الأمر يستلزم أن لا يتحدثا في الموضوع فليفعلا حتى تهدأ النفوس.

ومن الخطأ أن يقال للولد المظلوم لماذا لم تضرب ابن عمك مثـــلا وتأخذ بحقك، لأن هذا يؤدي إلى تفاقم الأمور، وإن من الواجـــب أن يشجع على العفو، ويشجع الولد المخطئ على الاعتذار وإبداء الندم.

وأحب أن أنبه إلى أنه قد يكون من أسباب الشجار بين الأطفـــال انشغال الأبوين عن الأطفال فيكون الشجار منهم للفت انتباههم.

ولذلك من المناسب جدا أن يتفرغ الأبوان للأولاد بعضا من الوقت يلاعبونهم ويشعرونهم بالاهتمام.

طرق علاج المشكلات:

١- أهمية معرفة الأدوار:

مهم أن يعرف كل واحد دوره في أي علاقة من العلاقات الإنسانية، وكيف يتصرف كل منهما حيال الآخر، وما هي فنون التعامل مع المشكلات والخلافات التي قد تطرأ في بداية العلاقة، وما هي الطريقة المثلى لعلاجها، وكيف يكسب كل منهما الآخر؟ وما هي طرق ذلك؟

مثال ذلك أن بعض الأزواج يظنون أن دورهم مقتصر على توفير الأكل والشرب واللباس للمرأة، وأنه ليس لها غير ذلك.

وهذا سوء معرفة منهم، فالمرأة تحتاج إلى أن تتحدث مع زوجها وأن تجد منه المودة والسكينة، تحتاج إلى أن يوفر لها بعض وقته، تحتاج إلى أشياء كثيرة، لذلك فمن المهم أن يعرف ذلك الرجل.

٢- التغيير يبدأ من النفس:

إذا أرنا التغيير في الآخرين فلا بد أن نبدأ التغيير في أنفسنا أولا، قال تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد:١١).

إن التغيير يبدأ بسيطا في النفس فيجر خلفه التغيرات الكثيرة في الآخرين.

هاكم هذا المثال:

منيرة كانت تشكو زوجها لأن تعامله جاف معها ومع الأولاد، أرشدها أحد المختصين بالاستشارات الأسرية بأن تتودد هي إليه أولا

بالكلام الودود والحب واللمس، فإن قبل زادت وإذا نفر خففت. تفعل ذلك لمدة ثلاثة شهور.

بعد ثلاثة أشهر بدأ زوجها وللمرة الأولى يفعل معها نفس الشيء، بل صار يقول لها كلاما في غاية الرقة والعاطفة. إن منيرة لم تستمر في اللوم بل فعلت شيئا: غيرت في نفسها وبالتالي تغير زوجها، حتى نغير لابد أن نتغير نحن. (كيف تكسبين زوجك للدكتور صلاح الراشد ص٣٥).

أفضل خطوة للإصلاح هي التي يقوم بها أحد الزوجين:

ولذلك كانت أفضل خطوة في الصلاح ليست هي التي يقوم بها طرف ثالث غير الزوجين، بل هي التي يبدأ بها ويقوم بها الزوج أو الزوجة، ومما يؤيد هذا ما رواه ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة: الودود الولود العؤود على زوجها التي إذا آذت أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول والله لا أذوق غمضا حتى ترضى) رواه البيهقي والنسائي، وانظر الترغيب والترهيب (٢/٦٧٧) ومجمع الزوائد (٤/٣١٢).

وفي رواية عند الطبراني في الصغير (١/٤٦) (كل ودود ولود إذا غضبت أو أساء إليها أو عصت زوجها قالت هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى).

ومعنى الودود أي المتحببة إلى زوجها، والولود أي الكثيرة الولادة، ويعرف هذا في البكر في أقاربها، والعؤود أي التي تعود على زوجها بالنفع، ومعنى لا أذوق غمضا أي لا أذوق نوما حتى ترضى عني.

إذن نفهم من هذه الأحاديث أن الإسلام يحث على المبادرة في الإصلاح وحل المشكلة سواء من قبل الزوجة كما دلت عليه هذه الأحاديث، أو من قبل الزوج كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (استوصوا بالنساء خيرا) رواه البخاري (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨) ومن الخير الإصلاح.

٣- العفو والصفح:

قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين) (الشورى:٤٠)

من حقك أخي المسلم أن تقابل السيئة بالسيئة، ولكن مقام العفو أفضل فيستحب لك أن تعفو عن أخيك، وليس هذا فقط بل تصلح ما فسد بينكما، والآيات والأحاديث في فضل العفو كثيرة جدا.

منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل) رواه مسلم (٢٥٨٨) والترمذي (٢٠٢٩).

يدل هذا الحديث على أن من عرف بالصفح والمسامحة يسود ويعظم في القلوب وليس في هذا ذلة له بل والله العز والرفعة.

وقال تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (الأعراف:١٩٩).

وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما هذا يا جبريل؟ قال: إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك.

وقال تعالى مادحا العافين (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) (آل عمران:١٣٤).

فقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) أي لا يعملون غضبهم في الناس بل يكفون عنهم شرهم ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل، ثم قال تعالى (والعافين عن الناس) أي مع كف الشر يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال، ولهذا قال تعالى (والله يحب المحسنين) فهذا من مقامات الإحسان، وجاء في الحديث (ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ومن تواضع لله رفعه الله) (رواه أحمد (٢٣١/٤) والترمذي (٢٣٢٥).

وروى الحاكم في مستدركه (٢٩٥/٢) عن عبادة بن الصامت عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من سره أن

يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه) ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين.

وروى ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول أين العافون عن الناس هلموا إلى ربكم وخذوا أجوركم وحق على كل امرئ مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة).

أخي في الله إذا جاءك من يستشيرك في أنه يصل أخاه أو ابن عمه، وأخوه أو ابن عمه يقطعه ويتكلم عليه وهو يسامحه، لكن استمر الآخر في قطيعته له، فبماذا تنصحه؟

- **احذر أولا** أن تقول له: اهجره كما هجرك وإياك أن تسامحه بعد اليوم وكيف تسكت عليه طيلة هذه السنين.

لا تكون هذه استشارة ناصح أبدا، بل الواجب أن تشير عليه بالاستمرار في الصلة فربما هدى الله أخاه.

- **ومن المناسب ثانيا** أن تذكر له أن نفس قصته حصلت مع صحابي جاء مستفتيا النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي!

فقال صلى الله عليه وسلم (لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم ما دمت على ذلك) رواه مسلم (٢٥٥٨).

ومعنى تسفهم المل أي تطعمهم الرماد الحار.

قال النووي رحمه الله:

وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، وينالهم إثم عظيم لتقصيرهم في حقه وإدخالهم الأذى عليه.

وأحق من عفوت عنه وصفحت أيها المسلم زوجتك وأقرباؤك وصديقك، فهل نويت أخي أن تعفو فتزداد عزة ومكانة عند الله !

وحتى يحببنا الله إلى العفو يذكر من أساء إلينا بلفظ الأخ حتى يعطفنا عليه، فهو وإن أخطأ في حقنا فإنه لم يكفر بل يبقى أخا لنا في الإسلام، ولذلك قال تعالى في آية القصاص (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) إلى أن قال (فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان...) (البقرة:١٧٨).

قصة أبي بكر مع مسطح:

واستمع معي إلى هذه القصة العظيمة في العفو:

لما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها مما رميت به حلف أبو بكر الصديق أن لا ينفع مسطح بن أثاثة أبدا وأوقف النفقة التي كان يعطيها له لما تكلم في عائشة رضي الله عنها، وكان مسطح ابن خالة الصديق،

وكان مسكينا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه، فأنزل الله (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) (النور:٢٢).

ومعنى لا يأتل أي لا يحلف وأولو الفضل أي الصدقة والإحسان، والمعنى لا تحلفوا أن لا تصلوا قرابتكم والمساكين والمهاجرين،واعفوا واصفحوا عما بدر منهم من إساءة وأذى، (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فإن الجزاء من جنس العمل فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك، وكما تصفح عنه يصفح عنك.

فعند ذلك قال الصديق رضي الله عنه: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا ياربنا، فعفا عن مسطح وأصلح ما كان، حيث عاد ينفق عليه وحلف أن لا ينزعها منه أبدا.

قال ابن كثير رحمه الله: بعدما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس المؤمنة وأقيم الحد على من تكلم على عائشة ومنهم مسطح شرع تبارك وتعالى يعطف أبا بكر الصديق على قريبه ونسيبه، وهذا في غاية الترفق بالأرحام والحث على صلتهم.

أيها الإخوة: العفو مستحب ومطلوب وخصوصا بين أفراد الأسرة، وإلا قولوا لي بربكم: ما بالكم بحياة بين زوجين والحياة لا تخلو من مشاكل، كلما أخطأت الزوجة قام لها الزوج بالمرصاد، وكلما أخطأ

الزوج قامت له الزوجة بالمرصاد، أيعقل أن تستمر هذه الحياة أو أن يهنآ بها؟! كيف يكون أثر مثل هذه الحياة على الأولاد وعلى نفسيتهم؟

لابد من التحلي بخلق العفو وأن نكثر من استخدام (الله يسامحك) أو غفر الله لك.

وربما قال إنسان أنا لن أرد على من أساء إلي ولن أغفر له بل سأسكت حتى إذا تجمعت عدة أخطاء للزوجة مثلا حاسبتها عليها مرة واحدة، فنقول: متى جاز أن يكون صدر المسلم بنكا يجمع فيه رصيد زوجته من الأخطاء، وقد قال صلى الله عليه وسلم (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا) أهكذا يكون تنفيذ وصية النبي صلى الله عليه وسلم بالنساء لما قال (استوصوا بالنساء خيرا).

إنه من الواجب أن تقول غفر الله لك يا زوجي، ولا يكون السكوت خيرا.

ويؤكد هذا قصة جرت بين أبي بكر الصَديق وربيعة بن كعب رضي الله عنهما.

تقول القصة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم منح أرضا لربيعة بن كعب وكانت بجانب أرض لأبي بكر الصديق، فاختلفا على نخلة، قال ربيعة: هي في أرضي، وقال أبو بكر: بل هي في أرضي، فتنازعا، فأسمع أبو بكر ربيعة كلمة يكرهها.

فلما بدرت منه الكلمة ندم عليها وقال: يا ربيعة رد علي مثلها حتى يكون قصاصا، فقال ربيعة: لا والله لا أفعل، فقال أبو بكر: إذن آتي رسول الله وأشكو إليه امتناعك عن الاقتصاص مني.

وانطلق أبو بكر إلى النبي ومضى ربيعة في إثره، وأتى أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم وحدثه الحديث كما كان، فرفع الرسول رأسه إلى ربيعة وقال (يا ربيعة مالك وللصديق) فقلت: يا رسول الله أراد مني أن أقول له كما قال لي فلم أفعل، فقال النبي (نعم لا تقل له كما قال لك، ولكن قل: غفر الله لأبي بكر) فقلت: غفر الله لك يا أبا بكر.

فمضى أبو بكر وعيناه تفيضان من الدمع وهو يقول: جزاك الله عني خيرا يا ربيعة بن كعب، جزاك الله عني خيرا يا ربيعة بن كعب.

٤- الصبر:

لا بد أن يتحلى المسلم بالصبر في الأزمات ويكظم غيظه، وله في ذلك البشرى من الله، قال الله تعالى (وبشر الصابرين) (البقرة: ١٥٥) وقال (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (الزمر: ١٠).

ويستحب أن يرافق الصبر العفو والمغفرة، ولذلك قال تعالى (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) (الشورى:٤٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر) رواه البخاري (١٤٦٩)ومسلم (١٠٥٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والصبر ضياء) رواه مسلم (٢٢٣) أي يضيء للمسلم الطريق الصحيح لمعالجة الأمور، فتنكشف الكربة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب).

وقال أيضا (من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء) رواه أبو داود (٤٧٧٧) والترمذي (٢٠٢١) وقال حديث حسن.

٥- الحكمة في معالجة الأمور:

الحكمة وضع الشيء المناسب في المكان المناسب، ومن ذلك إخراج الكلمة المناسبة في الوقت المناسب، وإبداء التصرف المناسب في الوقت المناسب كذلك.

ولنضرب هذا المثال:

قد تنشأ الخلافات بين الزوجة ووالدي الزوج من أجل الزوج أو الابن حيث يود كل الطرفين أن يكون صاحب الحق الأول فيه.

وهنا على الزوجة الواعية أن تدرك أن الوالدين هما صاحبا الفضل في منحها سعادة الارتباط في هذا الإنسان وبالتالي عليها احترامهما

ومعاملتهما بالحب والتقدير والاستفادة من خبراتهم في التقرب إلى الزوج ومعرفته أكثر.

وإذا كانت المشكلة تتعلق بهجرة الزوج لبيته وجفائه وانصرافه عن زوجته فعلى كل زوجة أن تسأل نفسها.. ماذا فعلت لكي تقاوم هذا الفتور والملل الذي انتاب حياتها الزوجية؟؟

وبدلا من أن نعلن الظلام ألف مرة.. نوقد شمعة، نفعل شيئا لتغيير روتين الحياة الممل حتى نثير عواطف الزوج من جديد.

قليلا من المفاجأة اليومية بالشكل، بالحوار، بنوع الأكل واللبس وهذا كفيل بأن يغير أجواء البيت ويجعلها دافئة حميمة، كوني صديقة لزوجك حتى لا يملك، حافظة لأسراره مهتمة باهتماماته متنوعة معه !!!

أيتها الزوجة:

لا تسيئي فهم زوجك لأن مشاغل الحياة وصعوبتها وكثرة المسئوليات وارتفاع الأسعار تجعله مع مرور السنين لا يجد بالضرورة أن يتفوه بالكلام المعسول في كل وقت، لذلك بدلا من اتهامه بالتقصير العاطفي يجب أن تعرفي أن طبيعة الرجل أنه لا يبرع في التعبير عن الحب والعواطف رغم أنه يكن لزوجته كل الود والتقدير.

تنبيه:

ومن الحكمة في معالجة المشكلات أن لا تحكي الواقع كما هو لأحد المتخاصمين إذا كان ذلك يزيد في المشكلة، وللمصلح أن يكذب سعيا

للإصلاح وذلك لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (ليس الكذاب الـذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أي ــ يبلغ خيرا ــ أو يقول خيرا) متفـق عليه، البخاري (٢٦٩٢) ومسلم(٢٦٠٥).

وزاد مسلم في روايته (قالت أم كلثوم: و لم أسمعه يرخص في شـيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: الحرب والإصلاح بين النـاس وحديـث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها).

قال ابن بابويه: إن الله عز وجل أحب الكذب في الإصلاح وأبغـض الصدق في الفساد .

وروى الطبراني عن أبي كاهل قال: وقع بين رجلين من أصحـاب رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ــ كلام حتى تصارما، أي هجر كـل منهما الآخر، فلقيت أحدهما فقلت: مالك ولفلان قد سمعته يحسن عليك الثناء ويكثر لك من الدعاء، ولقيت الآخر فقلت له نحو ذلك، فما زلـت أمشي بينهما حتى اصطلحا، فقلت: ما فعلت أهلكت نفسي وأصلحـت بينهما، فأتيت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأخبرته بالأمر، قلت لـه: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما سمعت من ذا شيئا ولا من ذا شـيئا، فقال: يا أبا كاهل أصلح بين الناس ولو بكذا وكذا، كلمة لم أفهمـها، فقلت ما عنى بها؟ قال عنى الكذب.

ـ دور المرأة في الإصلاح (قصة):

للمرأة دور كبير في الإصلاح بين الناس، وخصوصا بين مثيلاتها من النساء إذا أحسنت التدخل وتحلت بالحكمة.

وهذه قصة حدثت في تاريخ العرب تبين ذلك.

حكي عن الحارث بن عوف أنه قال لخارجة بن سنان: أترى أخطب إلى أحد فيردني؟ قال: نعم، قال: ومن هو؟ قال: أوس بن حارثة الطائي، قال: اركب بنا إليه، فركبا إليه حتى أتيا أوس بن حارثة في بلاده فوجداه في فناء منزله فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحبا بك يا حارث، ثم قال: ما جاء بك؟ قال: جئت خاطبا، قال: لست هناك، فانصرف و لم يكلمه.

فدخل أوس إلى امرأته مغضبا، فقالت له: من الرجل الذي سلم عليك فلم تطل معه الوقوف و لم تكلمه؟ فقال: ذلك سيد العرب الحارث بن عوف، فقالت: فما لك لا تستنزله؟ قال: إنه استهجنني، قالت: وكيف؟ قال: لأنه جاءني خاطبا، قالت: ألست تزعم أنه سيد العرب؟ قال: نعم، قالت: إذا لم تزوج سيد العرب في زمانه فمن تزوج؟ قال: قد كان ذلك. قالت: فتدارك ما كان منك، قال: فبماذا؟ قالت: بأن تلحقه فترده. قال: وكيف وقد فرط مني إليه ما فرط؟ قالت: تقول له إنك لقيتني وأنا مغضب لأمر، فلك المعذرة فيما فرط مني، فارجع ولك عندي كل ما طلبت، قال فركب في أثرهما.

قال خارجة بن سنان: فوالله إنا لنسير إذ حانت مني التفاتة فرأيته فقلت للحارث وهو ما يكلمني: هذا أوس في أثرنا، فقال: ما أصنع به؟ فلما رآنا لا نقف قال: يا حارث اربع علي، فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام، فرجع مسرورا.

قال خارجة بن سنان: فبلغني أن أوسا لما دخل مترله قال لزوجته: ادعي لي فلانة أكبر بناته فأتته، فقال لها: أي بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه، فما تقولين؟ قالت: لا تفعل. قال: ولم؟ قالت: لأن في خلقي رداءة وفي لساني حدة، ولست بابنة عمه فيراعي رحمي ولا هو بجارك في البلد فيستحي منك ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي بذلك مسبة، قال لها: قومي بارك الله فيك، ثم دعا ابنته الأخرى، فقال لها مثل قوله لأختها، فأجابته بمثل جوابها، فقال لها: قومي بارك الله فيك، ثم دعا ابنته الأخرى وكانت أصغرهن سنا، فقال لها مثل ما قال لأختيها، فقالت له: أنت وذاك، فقال لها: إني عرضت ذلك على أختيك، فأبتاه، ولم يذكر لها مقالتهما، فقالت: والله إني الجميلة وجها، الرفيعة خلقا، الحسنة رأيا، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه، فقال لها بارك الله فيك، ثم خرج إليه، وقال له: زوجتك يا حارث بابنتي هنيسة، قال: قد قبلت نكاحها.

وأمر أمها أن تهيئها له، وتصلح شأنها، ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله إياه، ثم بعثها إليه، فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج، فقال خارجة للحارث: أفرغت من شأنك؟ فقال: لا والله، قلت له: وكيف ذلك؟

قال: لما مددت يدي إليها قالت مه أعند أبي وإخوتي هذا، والله لا يكون، ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معا وسرنا ما شاء الله، قال الحارث لخارجة: تقدم، فتقدمت، فعدل عن الطريق، فما لبث أن لحقني، فقلت: أفرغت من شأنك؟ قال لا والله، قلت: و لم؟ قال: قالت لي: تفعل بي كما يفعل بالأمة السبية الأخيذة، لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي، فقلت؟ والله إني لأرى همة وعقلا، فقال: صدقت، قال: أرجو الله أن تكون المرأة النجيبة، فوردنا إلى بلادنا فأحضر الإبل والغنم ونحر وأولم ثم دخل إليها وخرج إلي، فقلت: أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله، قلت: و لم ذلك؟ قال: دخلت عليها أريدها، فقلت لها أحضرت من المال ما تريدين، قالت: والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك، قلت: و لم ذلك؟ قالت: أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا، وكان ذلك أيام حرب قيس وذبيان. قلت: فماذا تقولين؟ قالت: اخرج إلى القوم فأصلح بينهم ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك ما تريد، فقلت: والله إني لأرى عقلا ورأيا سديدا، قال: فاخرج بنا، فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية، فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير، فانصرفنا بأجمل ذكر، ثم دخل عليها فقالت له: أما الآن فنعم، فأقامت عنده في ألذ عيش وأطيبه، وولدت له بنين وبنات وكان من أمرها ما كان. (المستطرف ٢/٤٨٤)

المواصفات التي يستحب توافرها في الحكم والساعي للصلح:

المواصفات التي يستحب توافرها في الحكم والساعي للصلح هي كالتالي:

- عدل - ثقة - يرتضيه الطرفان.
- لديه رغبة حقيقية في الإصلاح.
- حكيم ينظر إلى الأحداث بموضوعية.
- محايد خارج عن دائرة التراع، أما إذا انحاز إلى أحد الطرفين وأدخل نفسه في التراع فيكون بذلك قد خرج عن دائرة الصلح ودخل دائرة الخلاف وفقد موضوعيته.
- بريء من الرغبة في غلبة أحدهما على الآخر.
- حسن الاستماع.
- يستمع باهتمام دون مقاطعة.
- صبور يتحمل الاستفزاز.
- قليل الكلام كثير العمل النافع.
- بطيء الانفعال وهادئ فيكون تفكيره أفضل ونظرته أشمل، وبذلك يكون أكثر قدرة على تفهم الوضع وآثاره المستقبلية.
- حريص على سمعة الطرفين وراغب في الخير لهما.
- مؤتمن على الأسرار.
- لديه فهم عميق وإحساس بالآخرين وتفهم لوجهات النظر المختلفة.
- يسأل في حدود الضرورة وليس بدافع من الفضول والتدخل.

أمور ينبغي مراعاتها:

١- ضوابط المناقشات الهادفة:

ذكرنا بأن الجدل مذموم، وأنه كلما أمكن تأجيل الحديث إلى أن تهدأ النفوس فهذا أفضل، أما المناقشة للوصول إلى حل للمشكلة أو توضيح الأمور فهي مطلوبة، لكن لها ضوابط وقواعد ينبغي أن تراعى هي كالتالي:

١- يحدد موعد لنقاش الخلاف الدائر وليس في أي وقت.

٢- لكلا المتخاصمين أن يقول لا أو نعم حسب معتقداته بما مضى، إذ ليس المهم أن يتفقا ولكن المهم أن يستطيعا أن يتحاورا ويحترم كل واحد منهم الآخر.

٣- عندما يحس أحد الطرفين بالغضب يوقف النقاش إلى وقت آخر حتى لا يخطئ في حق الآخر.

٤- من أهم القواعد كذلك أن لا يكون النقاش أمام الأولاد إن كان بين الزوجين، أو أمام التلفزيون، أو عندما يكون أحد الطرفين تحت تأثير الجوع، أي لا يكون النقاش وقت الغداء أو العشاء.

٥- يجب أن يدوم النقاش حول موضوع واحد وليس جميع المواضيع التي يراد لها التوضيح.

٦- مناقشة الموضوع بنوع من المحبة لأجل فك الخلاف، ولا نتجه في النقاش باللوم لأن اللوم يجعل الآخر في موقف دفاع وليس في موضع صلح.

٧- من أحد صفات فض الخلاف التسامح والعفو وإخراج الصفات الطيبة للجانب الآخر حتى يتم امتصاص الغضب إن وجد.

٨- ومن المهم جدا أن يستمع كل من الطرفين للآخر وألا يقاطعه.

(عوائق تعتري الزواج للأستاذة ألطاف العيسى ص ١٥٨،١٥٩).

أهمية الاستماع الجيد لكل من الطرفين للآخر أو من المصلح:

أحيانا كثيرة لا تجد الزوجة مثلا من يسمع لها، أو الزوج لا يجد من يسمع له، أو أحد المتخاصمين لا يجد من يسمع له إلى أن ينتهي، فتجد من يقاطعه ويريد مستعجلا أن يحكم على الموضوع، وهذا خطأ.

فمسألة الاستماع مسألة مهمة جدا. لماذا؟

لأنك إذا استمعت جيدا فهمت جيدا، ويشعر من يخاطبك بأنك تحترمه وتصغي له، وبالتالي يمكن للإصلاح وعلاج المشكلة أن يأخذ مجراه.

ولذلك قيل:

لكي تصبح متحدثا بارعا كن مستمعا وشجع محدثك على الكلام عن نفسه.

أما إذا كنت لا تسمع لي وكلما تكلمت سطرا قاطعتني بسطور فحينئذ أشعر أنك لا تحترمني ولا يهمك سماع رأيي، مما يزيد الأمر تعقيدا.

الاستماع الجيد مطلوب من كلا الطرفين أو ممن يقوم ويسعى بالإصلاح، ولذلك قلنا إن من مواصفات الحكم والساعي بالصلح أنه حسن الاستماع، ويستمع باهتمام دون مقاطعة.

٢- حرمة التمسك باليمين المانعة من البر والصلح:

أيها الأخ الكريم: لقد نهى الله ورسوله أن يتمسك أحد بيمين أو قسم يمنع ويحول بين البر والصلح.

غالبا ما يحلف الزوج مثلا على شيء يهدد به زوجته، أو يمنعها من شيء تحبه كأن يقول: والله أطلقك، أو والله لا تزورين أهلك، أو والله لا تخرجين من البيت، أو والله لا أزور أهلك، أو غير ذلك.

وكذا قد يحدث هذا من الزوجة أو من أحد الأقارب، مما يعمق الخلاف ويزيد المشكلة تعقيدا.

وهنا نقول للزوج أو للزوجة ناصحين: من الخير والمصلحة والبر أن لا تتمسك بهذا اليمين وأن تكفر عن يمينك، بل إن استمرارك على هذا اليمين وتمسكك بها آثم لك عند الله من أن تكفر عن يمينك وتبطلها لذلك قال صلى الله عليه وسلم (لأن يلج أحدكم في يمينه في أهله آثم له عند الله تعالى من أن يعطي كفارته التي فرض الله عليه) متفق عليه.

ومعنى يلج أي أن يتمادى فيها ولا يكفر، ومعنى آثم أي أكثر إثما.

والمعنى أن المسلم إذا حلف على شيء يتعلق بأهله فينبغي له أن يحنث في يمينه فهذا خير له، ويأثم إذا استمر على يمينه وتمادى فيها و لم يحنث و لم يكفر.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم خص النهي بالأهل لمزيد اعتناء الإسلام بالأسرة فإن الله جعله عاما بقوله (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم) (البقرة: ٢٢٤).

ومعنى الآية: لا تجعلوا الحلف بالله مانعا لكم من البر وصلة الرحم والإصلاح بين الناس، كأن يغضب الرجل فيحلف ويقول والله لا أنفق على فلان، أو والله لا أزور أخي أو أختي، وأحيانا يقوم الرجل بالإصلاح بين الناس فتحصل له أذية فيحلف ويقول والله لا عدت أصلح بين اثنين أبدا، فهنا يقول الله لهم لا تحلفوا على ترك البر والتقوى والإصلاح بين الناس، وفي حال أنكم حلفتم على ذلك فكفروا عن أيمانكم تلك واصنعوا الخير.

ولذلك حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أنه لا يحمل مجموعة من الصحابة جاءوا إليه يريدون الجهاد لكن لا يجدون ما يركبونه فحلف أنه لا يحملهم، ثم غنم المسلمون إبلا فناداهم وحملهم على هذه الإبل وقال (إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني) رواه البخاري.

ونحن هنا نقول لك أيها الأخ المسلم: مهما غضبت أو حصل نـزاع فلا تحلف ولا تقيد نفسك بشيء فإنك لا تدري ماذا يحدث بعد ذلك.

وإذا حصل أنك تسرعت وحلفت فاحذر أن تعتقد أن من التقـوى التمسك بهذه اليمين، بل البر والخير والتقوى أن تترك هذه اليمين وتحنث فيها وتكفر عن يمينك.

٣- ظنون خاطئة:

ـ ما يتعلق بعمر المصلح، فقد يتبادر إلى الذهن أن المصلح يجب أن يكون كبيرا في السن أو صاحب مركز ....، وهذا ظن خاطئ وليس من الضروري أن يكون المصلح كذلك، فقد يسعى للصلح شخص صغير في السن، المهم فيه أن يكون حكيما ويعرف ما ينبغي فعله.

ـ ترك الأمور للزمن، وقد يظن بعض الناس أن الزمن كفيل بحـل المشكلات، وهذا قد يحدث أحيانا فقد يترك المتخاصمين للزمن وتحـل المشكلة بعد زمن طويل، لكن هذا المبدأ بحد ذاته غير صحيح، فـالزمن سلاح ذو حدين قد يحل المشكلة بإذن الله تعالى، وقد يزيدها تعقيـدا، والمهم بداية أن يعتذر الإنسان إن أخطأ، ويـأخذ بالأسـباب المؤديـة للصلح، فإن قبل اعتذاره وسعيه فقد أفلح، وإن لم يقبل يـترك الأمـر للزمن، ويكون فعل ما عليه فعله، وأرضى الله سبحانه، وبذلك يرتاح في هذه الحياة القصيرة التي نعيش فيـها مؤقتـا، فينبغـي أن لا نسـمح

للمشكلات والخلافات أن تعيق طريقنا لنيل رضى الله والفوز بالجنة، فهي غاية كل مسلم يؤمن بربه ويتقيه.

٤- متى يتدخل المصلح:

المشاعر النفسية التي يمر بها الزوجان مثلا عند المشكلات مشاعر غير متزنة، وبالتالي تكون أحكامها غالبا غير سليمة، لأنهما عند الغضب والمشكلة يركز كل منهما على تصرفات الآخر ويبدأ يتصيد الأخطاء، ولذلك يحتاجان إلى تدخل طرف ثالث قبل وقوع الطلاق.

بمعنى أن يكون هناك حكم أو مرشد أو مستشار يجلس مع الطرفين، يحاول تهدئة الوضع، وبالتالي تستقر نفسيتهما ويكون حكمهما صائبا سليما حتى لو اختارا الطلاق.

ولكن ينبغي أن يكون التدخل في الوقت المناسب.

مثال: متى يتدخل أهل الزوج أو أهل الزوجة؟

ينبغي أن يتدخل ولي الزوجة وأهل الزوج مباشرة في سبيل الإصلاح بين الزوجين متى ما علم أي منهما أن هناك مشكلة.

ولننظر إلى قصة خصام وقعت بين علي رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها، ولما علم بها النبي ماذا صنع؟ تعالوا نستمع للقصة.

عن سهل بن سعد قال: إن كان أحب أسماء علي رضي الله عنه إليه لأبو تراب، وإن كان ليفرح أن ندعوه بها، وما سماه أبو تراب إلا النبي صلى الله عليه وسلم، غاضب يوما فاطمة فخرج علي فاضطجع إلى

جدار المسجد فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يبتغيه فقال لها: أين ابن عمك؟ قالت له في المسجد فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم وقد سقط رداؤه عن ظهره وامتلأ ظهره ترابا، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح التراب عن ظهره ويقول (اجلس يا أبا تراب) رواه البخاري.

خرج علي في حالة غضب من البيت، وهذا عمل حسن حتى تسكن فورة الغضب لأنه إن بقي فربما صدر منه ما لا يليق بجناب فاطمة.

وانظروا إلى كرم خلق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث توجه هو نحو علي ليترضاه، ومسح عن ظهره وداعبه بالكنية، و لم يعاتبه على مغاضبته لفاطمة.

قال ابن حجر:

يؤخذ من الحديث استحباب الرفق بالأصهار وترك معاتبتهم إبقاء لمودتهم.

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: كان بين علي وفاطمة كلام فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل حتى أصلح بينهما، فقلت له: دخلت وأنت على حال وخرجت ونحن نرى البشرى في وجهك فقال: وما يمنعني وقد أصلحت بين أحب اثنين إلي.

كيفية الصلح:

السعي للإصلاح بين المتخاصمين علم وفن، وله طريق وكيفية، وسنحاول توضيح بعض جوانبه فيما يلي:

١ً - إخلاص النية لله تعالى.

٢ً - العزم على السعي للصلح والرغبة فيه.

٣ً - من الضروري أن يعرف الساعي للصلح ما يريد عمله وكيفية القيام به مع مراعاة الوقت والمكان المناسبين، وهذا يعني أن يضع خطة توصله إلى هدفه.

(الحكمة هي فعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي).

مثال على الخطة:

١- ينبغي أن يستمع من يريد الإصلاح بين الزوجين أو بين أي متخاصمين إلى كل منهما أولا على انفراد، يستمع إلى كل منهما استماعا جيدا.

٢- ثم يجمع بينهما ويستمع إلى كل منهما مرة أخرى أمام الآخر.

٣- ولا يخطئ طرفا بحضور الآخر .

٤- وعلى انفراد يبين للمخطئ خطأه ويحثه على الصلح.

٥- وبحضورهما يطلب إليهما الصلح والعفو ويدعو الله أن يوفقهما لذلك.

٦- ويحذر المصلح في الاستعجال في الحكم والتخطئة ويستحب أن يردهما إلى الصلح

قال الفقهاء: يستحب للقاضي أن يرد الخصوم إلى الصلح إن طمع منهم ذلك، ولا يقضي بينهم فورا، وذلك لقوله تعالى (والصلح خير) (النساء:١٢٨) فكان الرد للصلح ردا للخير، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ردوا الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن)

ونكمل الكلام على **جوانب فن كيفية الصلح** فنقول:

٤- التقرب إلى الطرفين بالطيب من القول والفعل وتكوين علاقة ألفة ومودة معهما مما يشعرهما بالاطمئنان والثقة.

٥- محاولة التأثير على الخصمين وتهيئة الأجواء لقبول التوجيه والنصح ليكونا أكثر رغبة وأكثر قدرة على الصلح والتنازل.

٦- تفهم مشاعر كل من الطرفين وتقدير موقفهما، وهذا لا يعني أننا موافقين على التصرف ولكن مقدرين الدوافع والظروف.

٧- حسن اختيار الألفاظ فلا يتكلم بكل ما سمع، يعمل كالمصفاة (الفلتر) التي تمرر السائل الصافي النقي وتحجب الشوائب، فالإنسان الغاضب يتلفظ بكلام قد يندم عليه لاحقا فالأفضل اختيار الطيب من القول وتناسى الباقي.

٨- الثناء على الأفكار الصحيحة للآخرين وتجنب السخرية والاحتقار.

٩- البحث عن نقاط اتفاق، والحكم الذكي هو الذي يؤكدها ويذكرها بحماس، ويتجاهل ما أمكن نقاط الخلاف ليؤكد العلاقة الطيبة بهدف كسب القلوب.

١٠- الاهتمام بالأحداث والحقائق والتفكير بالآثار المستقبلية لأي تصرف لأن صاحب المشكلة قد يكون عاجزا نتيجة غضبه عن التفكير والتمعن بالحقائق والأهداف والنتائج للمشكلة، وقد يتسرع في تصرف يندم عليه لاحقا.

١١- محاولة توضيح أن هناك سوء فهم وسوء تصرف، وغالبية المشاكل في الواقع تبدأ بخطأ صغير ثم تتفاقم الأمور وتأخذ أكبر من حجمها الطبيعي بسبب سوء التعامل مع المشكلة في بدايتها وبسبب نزغ الشيطان والنفس الأمارة بالسوء وحب الدنيا وهوى النفس.

١٢- تهيئة الطرفين للاعتقاد أن الصورة قد لا تكون واضحة لديه والحكم بدوره يحاول توضيح هذه الصورة.

١٣- معالجة السلوك الصادر من المخطئ بحسب ما يراه مناسبا من الأساليب إما بالتعريض بالخطأ أو بيان الصواب بالقدوة والمثل، أو التوجيه المباشر للمخطئ على انفراد أو غير ذلك من الأساليب.

١٤- محاولة تشكيك كل من الطرفين بصحة موقفه تجاه الآخر وأن احتمال الخطأ من جانبه وارد، فهذه تعتبر نقطة تحول إيجابية وهي بداية التنازل والاعتذار والرغبة في الصلح.

١٥- من الكذب ما هو حرام ومنه ما هو مباح وما هو مستحب، والكذب الذي يساهم في الصلح بطريقه مشروعة هو من الكذب المستحب مع مراعاة عدم المبالغة فيه كي لا يفقد الحكم مصداقيته، فمن الحكمة أن يقول كلاما لا يوصف بالكذب مثل أن يقول (شعرت يا أختي أن زوجك يحبك ويهتم بك) فعبارة (شعرت) لا تدخل الكلام ضمن الكذب، وقد تكون العبارة غير صحيحة إلا إنها مهدئة ويرجى منها خير.

١٦- إن هدف الساعي للصلح هو إظهار كلا الطرفين بصورة أفضل أمام الطرف الآخر، ولكن قد يعجب الحكم بنفسه وبحسن تصرفه ويحاول إبراز مهاراته وحسن تصرفه على حساب الآخرين، وقد يتباهى كيف أنه أوقف أحد الطرفين عند حده أو أسكته وأفحمه وهذا التصرف قد يهدم كل ما فعله، فمن كان بهذه الأخلاق لا يصلح لمهمة الصلح.

ـ من فوائد الإصلاح:

١- الإصلاح بين المؤمنين إذا تنازعوا واجب لا بد منه لتستقيم حياة المجتمع ويتجه نحو العمل المثمر.

٢- بالإصلاح تحل المودة محل القطيعة، والمحبة محل الكراهية، ولـــذا يستباح الكذب في سبيل تحقيقه.

٣- الإصلاح بين الناس يغرس في نفوسهم فضيلة العفو.

٤- الإصلاح منبعه النفوس السامية لذا كان النبي ـــ صلى الله عليـه وسلم ـــ يخرج بنفسه للإصلاح بين الناس.

٥- اكتساب الحسنات والثواب الجزيل من جراء الإصـــلاح بـــين الناس.

٦- إصلاح ذات البين أفضل من نافلة الصيام والصلاة والصدقة.

٧- الإصلاح يثمر المغفرة للمتخاصمين عند المصالحة.

٨- عدم الإصلاح يؤدي إلى استشراء الفساد وقســـوة القلـــوب، وضياع القيم الإنسانية الرفيعة.

٩- الإصلاح بين الناس عهد أخذ على المسلمين.

ـــ دعاء مأثور في الإصلاح:

(اللهم أصلح ذات بيننا وألف بين قلوبنا واهدنا سبيل السلام ونجنـــا من الظلمات إلى النور وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، اللـــــهم بارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأرواحنا وذرياتنا وتب علينا إنـــك أنت التواب الرحيم واجعلنا شاكرين لنعمك وأتمها علينا).

رواه الطبراني وابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود.

ـ الإصلاح في الوصية:

أحيانا الإنسان يوصي بوصية فيها ظلم، فما الحكم؟

قال تعالى (فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فـــلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) (البقرة:١٨٢) .

والجنف هو الخطأ والميل وعدم العدل.

قال ابن كثير: فلو أن الموصي أخطأ في الوصية فأوصى مثلا لابـــن ابنته أو أوصى لزوج ابنته ليزيد من نصيب ابنته، أو أوصـــى بخمـــر أو خترير أو أوصى لابن ابنته ليزيد من نصيب ابنه أو أوصى لبعيد وتـــرك القريب، إما مخطئا غير عامد بل نتيجة لشفقته، أو متعمدا آثما فللوصـــي والحالة هذه أن يصلح ويعدل في الوصية على الوجه الشرعي.

فالحكم العام أنه لا يجوز لمن يتولى تنفيذ الوصية أن يعدل فيها أو أن يبدل إلا حالة واحدة: ما هي؟

إذا عرف أن الموصي إنما يقصد بوصيته محاباة أحـــد أو الإضـــرار بالورثة أو أنه أخطأ في وصيته فأوصى بما لا يحل فعندئذ لا حرج علـــى من يتولى تنفيذ الوصية أن يعدل فيها بما يتلافى به ذلك الحيف ويرد الأمر إلى العدل والإنصاف.

تجارب ناجحة في الإصلاح:

١- من النبي صلى الله عليه وسلم:

أ- روى الطبراني عن أنس قال: كان الأوس والخزرج حيين من الأنصار وكان بينهما عداوة في الجاهلية، فلما قدم عليهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذهب ذلك وألف الله بين قلوبهم، فبينما هم قعود في مجلس لهم إذ تمثل رجل من الأوس ببيت فيه هجاء للخزرج، وتمثل رجل من الخزرج ببيت فيه هجاء الأوس، فلم يزل هذا يتمثل ببيت وهذا يتمثل ببيت حتى وثب بعضهم إلى بعض وأخذوا أسلحتهم وانطلقوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فجاء مسرعا قد حسر عن ساقيه فلما رآهم ناداهم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (آل عمران:١٠٢) فوحشوا بأسلحتهم فرموا بها واعتنق بعضهم بعضا يبكون.

وهذه القصة تفيدنا سرعة المبادرة في الإصلاح.

ب- روى البخاري عن عائشة قالت: سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما وإذا أحدهما يستوضع الآخر ــ أي يطلب منه أن يحط عنه بعض الدين ــ ويسترفقه في شيء وهو يقول والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: أين المتألي على الله لا يفعل المعروف؟ فقال: أنا يا رسول الله وله أي ذلك أحب.

انظر فتح الباري (٥/٢٧٠٥)

وفي حديث آخر أن كعب بن مالك كان له على عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي مال فلقيه فلزمه حتى ارتفعت أصواتهما في المسجد فسمعهما النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخرج إليهما فقال: يا كعب، فقال كعب: لبيك يا رسول الله، فأشار بيده كأنه يقول ضع النصف، فقال كعب: قد فعلت يا رسول الله، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابن أبي حدرد: قم فاقضه.

انظر فتح الباري (٥/ح٢٧١٠)

فانظر كيف طلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كعب أن يضع عن غريمه النصف مما يطالبه به.

وتفيد هذه القصص استحباب الطلب من المتخاصمين التنازل عن بعض الحق أو كله في سبيل الإصلاح، وخصوصا إذا كان سبب الخلاف أمورا مادية كالدين،وهكذا كان يفعل ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ج- وروى البخاري عن الزبير أنه خاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شراج من الحرة ـ والشراج مسيل الماء ـ كانا يسقيان به كلاهما، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للزبير (اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك).

فهنا لم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم للزبير بكامل حقه لأجل الإصلاح، لكن الأنصاري لم يعجبه ذلك وغضب فقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

غضبا ثم قال (اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر) ـــ أي الجدار الحاجز الحابس للماء ـــ فاستوعى رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حينئذ حقه للزبير، وكان رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قَبْلَ ذلك أشار على الزبير بأمر فيه سعة له وللأنصاري فلما أغضب الأنصاري رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم، قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم...) الآية (النساء:٦٥).

وأحيانا كان الغرماء يأبون التنازل عن الحق أو بعضه، فماذا كان النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يفعل؟ كان يفعل شيئا آخرا، فقد روى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: توفي أبي وعليه دين فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا و لم يروا أن فيه وفاء، فأتيت النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فذكرت له ذلك فقال: إذا جددته ـــ أي قطفته ـــ فوضعته في المربد ـــ والمربد وعاء يجمع فيه التمر ـــ فآذني ـــ أي أعلمني، فجاء ومعه أبو بكر وعمر، فجلس عليه ودعا بالبركة ثم قال: (ادع غرمائك فأوفهم) فما تركت أحدا له على أبي دين إلا قضيته وفضل ثلاثة عشر وسقا، فوافيت مع رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ المغرب فذكرت ذلك له فضحك فقال (ائت أبا بكر وعمر فأخبرهما)

فأتاهما فأخبرهما فقالا: لقد علمنا إذ صنع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما صنع أن سيكون ذلك.

انظر فتح الباري (٥/ ح٢٧٠٩).

٢- من الصحابة:

ــ قبول الحسن بن علي الصلح مع معاوية رضي الله عن الجميع.

روى البخاري عن الحسن البصري قال: استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني أرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية: ــ وكان والله خير الرجلين ــ أي عمر إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز فقال: اذهبا إلى هذا الرجل ــ يقصد الحسن بن علي ــ فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له فطلبا إليه الصلح، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، فقالا له: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك الصلح، قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئا إلا قالا نحن لك به، فصالحه، فقال الحسن البصري: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة أخرى،

ويقول (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين).

انظر فتح الباري (٥/ح ٢٧٠٤)

فانظروا كيف تنازل الحسن لمعاوية من أجل الإصلاح.

٣- قصص واقعية:

نشرت مجلة النور في العدد ١٩٣ تجربة ناجحة في الإصلاح بين الزوجين، تقول الأخت المصلحة:

ذات يوم جاءتني إحدى صديقاتي وهي حزينة، وجلست إلي تشكو من زوجها و لم يمض على زواجهما إلا بضعة أشهر؟!

قالت لي: أريد أن أستشيرك في أمر ما، فقلت لها: عسى خيرا؟ فأخبرتني أنها تفكر في طلب الطلاق من زوجها !!

أدهشتني المفاجئة ! فقلت لها بلا شعور: ماذا هل أنت مجنونة؟ قالت لي: لقد مللت الحياة معه، فقلت لها: هذه الأشهر لا تكفي لأن تحكمي على الحياة بسرعة، وسألتها عن أسباب ذلك فأخبرتني أنه صارم في تصرفاته، يريد أن يسير كل شيء حسب ما يحب، حتى الطبخ يتدخل في شؤونه فيقول لها: لم تطبخين هكذا؟! أمي لم تكن تطبخ هكذا؟! وإذا أرادت أن تخرج من المترل يحدد لها المكان والزمان؛ بل إذا أرادت أن تذهب إلى أسرتها فعلى حسب مزاجه إما أن يوافق أو أن يرفض، و لم تكن تتناقش معه في كل تلك الأمور.

ولما طفح الكيل قررت طلب الطلاق، هدأت من روعها وقلت لها: الحياة يا حبيبتي ابتلاء وامتحان، والحياة تجارب، ولا يخلو مترل من المشاكل، وهي كما يقال كالملح في الطعام لأن ذلك يجدد من الحياة الزوجية، ثم قلت لها: لماذا لا يكون السبب لديك أنت؟ فمثلا عندما تطلبين منه الذهاب إلى أسرتك ولا يوافق، لماذا لا تتناقشين معه وتسألينه عن الأسباب وتكررين المحاولة عندما تجدينه مرتاح البال؟ لماذا لا تجربين أن تعرضي عليه أنت الزيارة عرضا فتقولي له ما رأيك في زيارة لأسرتي أنا وأنت؟ وبالنسبة للطعام فكلنا عانينا أول الأمر من مسألة أن طبخك ليس مثل أمي ولكننا تجاوزنا هذه المرحلة بالتعلم والصبر. فتعلمي واسألي، اجلسي معه جلسة هادئة وسأليه عما يحب من الأطعمة؟ وكيف يحبها؟ وماذا يكره؟ وبذلك يسهل عليك الأمر.

وموضوع الصرامة له شأن آخر فلقد فهمت منك أنك وهو تعودان من الخارج معا فهو معذور لأنه جاء من عمله متعبا يتمنى أن يجدك بانتظاره في المترل ولكنه قام مشكورا بمساعدتك على إكمال الدراسة الجامعية، وهذا يدل على تعاونه، فغيري من معاملتك له؟ عامليه بلطف وحنان؟ عامليه كما تعاملين الطفل الصغير؟ ودلليه دائما ! وأسمعيه الكلام الجميل دوما ! كوني باستمرار أجمل امرأة في عينيه بجمالك واهتمامك بنفسك وبيتك، زيدي من اهتمامك به وأشعريه بذلك

وصدقيني أنك ستجدين النتائج الطيبة، وأهديتها بعض الشرائط النافعة في هذا الشأن، وكأنما أحسست أنها لم تأخذ نصحي محمل الجد.

ومرت الأيام والأسابيع ولم نكن نتقابل كثيرا بسبب الامتحانات وضيق الوقت بين المحاضرات، ثم جاءتني ذات يوم بوجه غير ذاك الذي أتتني به في ذلك اليوم، قالت لي: لن تصدقي إن قلت لك ما حدث؟

في الحقيقة راودني شعور بالخوف أن تكون حياتهما الزوجية انتهت بينهما، أو أن هناك أمور جدت، فقالت لي: لقد فعلت كل ما قلته لي، واستمعت إلى الأشرطة، واستفدت منها كثيرا، ووالله لا أصدق ما حدث له فقد تغيرت معاملته لي، وتغير أسلوبه، وأصبح أكثر ليونة من قبل وأنا الآن أشعر معه بسعادة غامرة والحمد لله وكأننا قد تزوجنا الآن.

سررت جدا بهذا الخبر الذي أسعدني وقلت لها: الفضل لله أولا واشكريه، وأضفت: أرأيت كيف أن الصبر والتأني ومراجعة النفس يغير الكثير، ولم أستمع منها بعد ذلك أي شكوى.

هذه تجربة عاصرتها بنفسي لعلها تفيد من يقرؤها وتجعل منها عظة ودرسا.

تنبيه: أهمية سلوك العلاج الرباني للشقاق بين الزوجين.

قال تعالى (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا) (النساء:٣٤)

مراحل العلاج: (الوعظ ــ الهجر ــ الضرب غير المبرح)

إن كان سبب الخلاف والتزاع والشقاق المرأة فعلى الرجل أن يعظها أولا ويذكرها بواجبه عليها، ويخوفها من عذاب الله وغضبه، فإن أفاد ذلك وإلا فله أن يهجرها بمعنى ألا يبيت معها على سرير واحد، وإن بات معها على سرير واحد فليعطها ظهره ولا يعاشرها ولا يلهو معها أو يداعبها، وله أن يبيت في غرفة أخرى... ويستمر على ذلك من ثلاث أيام إلى شهر ولا يزيد عن ذلك، فإن لم يفد ذلك نظر... إن كان الضرب يصلحها ضربها وإن كان الضرب يزيد الطين بلة أو كانت من نوع لا يضرب ألحقها بأهلها بغير ضرب حتى تدرك خطأها وتعرف أنها ظالمة مجحفة بحق زوجها ثم تعود إلى طاعته وقد تخلصت من أسباب التزاع والشقاق.

والضرب الذي ذكر في القرآن الكريم كتأديب للمرأة فسره العلماء بغير ما يخطر ببال الناس، وما يتشدق به المغرضون.

فالعلماء منهم من قال: يلكزها بيده، وبعضهم قال: يضربها بالسواك وهو عود لا يزيد على غلظ الإصبع، وطوله لا يزيد عن شبر، وبعضهم

قال: يضربها بعصا مثل السواك ولكنها في طول الذراع، وهذا هو أقصى حد في وصف عصا الضرب، وأما العدد فأقصى حد فيه عشر عصيات وبشرط ألا يسيل دما، ولا يكسر عظما، ولا يمس الوجه ولو كان الضرب بيده.

وهذا الحكم أذن الله به لإنهاء الأمر بين الرجل والمرأة بعيدا عن أهلها وأهله حتى لا تستفحل الأمور وتزداد سوءا بفعل العواطف وتدخل الآخرين وكشف ما بين الزوج وزوجته مما يطلب ستره.

ومما يجدر التنبيه له أن الضرب أذن به الشرع لعلاج نشوز الزوجة فينبغي أن يلحظ الزوج هذا المعنى فلا يضرب تشفيا أو انتقاما.

ومن هنا ندرك أن الإذن بالضرب في القرآن ليس أصلا في التشريع ولا هو من الأمور العادية البسيطة إنما هو آخر الدواء إذا رأى الزوج العاقل الفاهم أنه يصلحها، وبشرط أن يكون خفيفا كما سبق ذكره.

أما الذين يشتطون من الأزواج فيشتمون ويضربون بغير سبب ويقسون في الضرب قسوة لا يحلها الله مع حيوان فإنهم أبعد الناس عن الإسلام وعن الرحمة وعن الإنسانية وهم الذين أساءوا إلى الإسلام، وهم الذين يستحقون أن يؤدبوا ويعزروا ويقتص منهم.

هذا الحكم السابق إن كان الشقاق سببه الزوجة فقط أما إن كان سببه الرجل أو الاثنان معا فإن الشرع يأمر ببعث حكم من أهل الرجل

وحكم من أهل المرأة، يلتقيان فيحاولان إصلاح ما بينهما، فإن لم يفد ذلك فلا مانع من الطلاق.

قال تعالى:

(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير) (النساء: ١٢٨).

وقال تعالى (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) (النساء:٣٥).

فالآية الأولى جعلت للمرأة أن تصلح الأمر بنفسها بإدخال وسيط بينها وبين زوجها إن رأت من زوجها بعدا أو إعراضا عنها، ولها أن تتنازل عن بعض حقوقها في سبيل ذلك حتى تعود الحياة طبيعية طيبة بينهما.

والآية الثانية بينت أن الخلاف إن كان من الزوجين فللحاكم أو القاضي أو أولياء الأمور إرسال رجلين عدلين ليقوما بالصلح أو بالتفريق حسبما يريان، ونتيجة لرأي كل من الزوجين وموقفه من الآخر.

يجتمعان في هدوء وسكينة، بعيدين عن الحالات النفسية والملابسات المحيطة التي كدرت علاقات الزوجين، وتتم عملية التحكيم.

إذاً الإسلام لا يدعوا إلى التسليم بالخلاف الحاصل بين الزوجين واعتباره أمرا واقعا وحدثا منتهيا، ولا يدعوا إلى المسارعة بفصم عقد

الزواج وتحطيم بنيان الأسرة وتمزيقها وتشريد الصغار الذين لا ذنب لهم ولا حيلة.

بل يدعوا الإسلام إلى وسيلة أخيرة وهي التحكيم لعل الله سبحانه أن يكتب للزوجين الوفاق والاستمرار.

آداب الهجر وضوابطه:

قال تعالى (واهجروهن في المضاجع) (النساء:٣٤) وسئل صلى الله عليه وسلم عن حق الزوجة فقال صلى الله عليه وسلم (أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت) رواه أبو داود وحسنه النووي.

إذن من خلال الآية والحديث يتضح أن آداب الهجر هي كالتالي:

١- حصر الهجر في مكان خلوة الزوجين، في الفراش.

٢- يجب أن لا يظهر الهجر في غير البيت.

٣- وأن لا يكون أمام الأطفال.

٤- وأن لا يكون أمام الغرباء، يذل الزوجة أو يستثير كرامتها فتزداد نشوزا، لأن المقصود علاج النشوز لا إذلال الزوجة ولا إفساد الأطفال.

٥- ليس للزوج أن يهجر التعاون معها في شؤن البيت وتربية الأولاد لأن ذلك يضر بهم وهم لا ذنب لهم، فمسؤلية الأولاد مسؤلية عظيمة حتى ولو كان بينه وبين أمهم سوء تفاهم.

٦- لا يجوز أن يتعدى الهجر شهرا.

وبعض الأزواج إذا حصلت مشكلة بينه وبين زوجته خاصم من أجل ذلك حتى الأولاد، وأعرف قصة يقول صاحبها: إن والدي لا يكلمني لسبب بسيط، وهو مشكلة بينه وبين أمي، ويقول إنه لا يرد علي السلام، وحاولت أن أتكلم معه من خلال أحد كبار السن من أقاربه ولكن دون جدوى، فما ذنب الأولاد فالواجب على الوالد أن يصالح أبناءه وأن يقبل عذرهم، وأن يعيش معهم عيشة سعيدة وحياة حميدة، وهذا هو المطلوب الذي ينبغي من الأسر.

آداب الضرب وحدوده:

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء في بداية الأمر لأن المرأة كانت مهانة تضرب لأدنى سبب فأراد النبي صلى الله عليه وسلم الحد من ذلك حيث قال (لا تضربوا إماء الله) رواه أبو داود.

وقد ورد في سبب نزول قوله تعالى (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن) (النساء:٣٤) أن امرأة لطمها زوجها فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن زوجي لطم وجهي فقال (بينكما القصاص) يعني حكم لها بأن تلطم زوجها كما لطمها، فلما انصرفت لتفعل نزل قوله تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) (طه:١١٤) يعني لا تسرع في الحكم حتى يأتيك

وحي الله، فأوقف النبي صلى الله عليه وسلم الأمر حتى نزلت هذه الآية التي رتبت تأديب الرجل امرأته على هذه الصورة.

ومع كون الضرب رخصة أباحها الله عز وجل في كتابه ولا يلجأ إليها الزوج إلا عند الحاجة إلا إن خيار الناس لا يحتاجون إلى اللجوء إليه ولذلك قال إياس بن عبد الله في الحديث (فأطاف بآل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لقد أطاف بآل بيت محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم).

وأيضا مع كون الشرع رخص في الضرب إلا أنه وضع له حدودا لا يجوز تجاوزها، وأحاطه بالتحذيرات من سوء استعماله وإلا عد اعتداء على نفس محترمة.

فحدوده أن يكون ضربا يسيرا ويتجنب فيه الرجل وجه المرأة ورأسها لكرامتها، والمواضع الحساسة من جسمها، وبشرط أن لا يكسر عظما ولا يجرح ولا يشوه ولا يضرب بالسوط ولا بالعصا ونحوهما مما يؤثر غالبا تأثيرا بليغا، بل يستخدم ما يوجع ولا يجرح أو يكسر، وكل هذا لأجل أن لا يحصل بين الزوجين نفور تام بسبب الضرب الشديد، بل تكون هناك فرصة للمراجعة والعودة للمودة والوئام، ولذلك قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ (يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه) متفق عليه.

أي لا يضرب أحدكم امرأته ـــ إن احتاج إلى ذلك ـــ ضربا شديدا كما يضرب عبده لأنه قد يحتاج إلى مضاجعتها آخر يومه، والضـــرب الشديد يسبب نفورا تام يستحيل معه أن تقبل المرأة بأمر كـــهذا آخـــر اليوم.

حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاملته لنسائه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده، ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد في ســبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى) رواه مسلم.

أفاد هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم ـــ لم يحصـــل منـــه أن ضرب إحدى نساءه، وفي رواية عائشة ـــ رضـــي الله عنـــها ـــ لهـــذا الحديث وهي إحدى زوجاته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ تـــأكيد لهـــذا المعنى لاطلاعها على أحواله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في البيت مـــع نسائه.

وكيف يسلك ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ هذا المسلك وهو الـــذي يوصي بالنساء خيرا ويقول (خياركم خياركم لنسائهم) رواه الـــترمذي (٣٨٩٥) وقال حديث حسن صحيح.

وكان النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يعظ نساءه، كوعظه لهـــن عندما طلبن زيادة النفقة فقال لهن ما أمره الله: (إن كنتن تردن الحيـــاة

الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا، وإن كنتن تـــودن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيمـــا) (الأحزاب:٢٨).

وكوعظه لعائشة رضي الله عنها ــ في حادثة الإفك حيث قال (يـــا عائشة إنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فســـيبرئك الله، وإن كنت ألممت بالذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه) رواه أحمد وأصله في الصحيح بمعناه،

حتى أنزل الله براءتها مما نسب إليها.

فهرس

إصلاح ذات البين